

الإصدار رقم (١٤١)
سِلْسِلَة تَهْذِيبِ كُتُبِ الإمَامِ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (١٥)

تهذيب
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

لِلإمَامِ العَلَّامَة شَمس الدِّين مُحَمَّد بن أبي بَكر المعْرُوف بِابنِ قَيِّم الجَوزيَّة
(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

إعْدَادُ
د. سُلطان بن نَاصِر النَّاصِر

إشْرَافُ
عَطاءات العِلم



دَارُ عَطَاءَاتِ العِلْم


تهذيب
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

ح دار عطاءات العلم للنشر، ١٤٤٥هـ
الناصر ، سلطان بن ناصر
تهذيب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. / سلطان بن ناصر الناصر –
ط ١. .– الرياض ، ١٤٤٥ هـ
٢٥٩ ص ؛ ..سم
رقم الإيداع: ١٤٤٥/١١٥٨٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٠-٤٥-٥

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م





info@ataat.com.sa
00966 559222543
@ ataat11



الإصدار رقم (١٤١)

سلسلة تهذيب كتب الإمام ابن قيم الجوزية (١٥)

تهذيب

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١هـ)

إعداد

د. سلطان بن ناصر الناصر

إشراف

عطاءات العلم

دار عطاءات العلم


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن «**عطاءات العلم**» بيت خبرة في تطوير البرامج العلمية الشرعية، ورعايتها، وتمكين العاملين فيها، وهي تسعىٰ إلىٰ الارتقاء بالجهات والبرامج العلمية الشرعية بطريقة منهجية، وصولًا لتحقيق مقاصد الشريعة، وترسيخ القيم الإسلامية.

لقد نهضت «**عطاءات العلم**» منذ تأسيسها بعدة مشاريع نوعية وفق منهجية احترافية، صممتها خصيصًا لصناعة المشاريع العلمية الشرعية، بين دراسات علمية محكّمة، ونصوص تراثية محققة، وبرامج تطويرية متخصصة، وموسوعات علمية إلكترونية متميزة، وسلسلة إصدارات كوكبة من الأئمة الأعلام، وغيرها من المشاريع والبرامج ذات الأثر العظيم والنفع العميم.

ولما كانت خدمة العلم الشرعي ونشره وتوريثه للأجيال المتعاقبة مما يجدر بأهل الإسلام الحرص عليه أولته «**عطاءات العلم**» عنايتها واهتمامها؛ فاحتضنت لأجله أحد مشروعاتها النوعية، وهو مشروع تحقيق آثار العلماء ونشرها، ومنها آثار الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وذلك بطباعتها وتحقيقها تحقيقًا علميًّا لائقًا؛ بتوفير أفضل نسخها الخطية في العالم، ومقابلة نصوصها، وتحريرها، والتعليق عليها بما يخدمها، ويوضّح مقاصدها، وكتابة مقدمات تعرّف بكل كتاب وتكشف مزاياه، وصُنْع فهارس كاشفة مفصلة لعلومه وخباياه، في عمل علمي مبارك ابتدأ

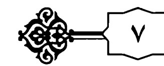
منتصف عام ١٤٢١هـ بإشراف الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، وتمويل مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية، واستمر نحو عشرين عامًا حتىٰ سنة ١٤٤١هـ، ونفع الله به من شاء من عباده في مختلف بلدان العالم.

وحين انتهىٰ العمل من نشر هذه الكتب العلمية النافعة باتت الحاجة ماسة إلىٰ تقريب عيون هذه الكتب، وتهذيبها، واختصارها بمنهج علمي محكم، يسهم في توسيع دائرة الاستفادة من علومها وفوائدها لعموم القراء، الذين قد يحول بينهم وبين الانتفاع بها استطراد المؤلف وإسهابه في تقرير المسائل، والرد علىٰ المخالفين، ونحو ذلك، كما يستفيد منها المتخصصون في العلوم الشرعية الراغبون في خلاصات جامعة لأفكار الكتب لغرض المراجعة والاستذكار.

ويطيب اليوم لـ«**عطاءات العلم**» أن تقدم لأهل العلم وطلابه والحريصين علىٰ تراثه هذا المشروع العلمي الجديد في تهذيب نخبة من مؤلفات الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو مشروعٌ علمي مبارك نهض به فكرةً وإعدادًا فضيلة الشيخ الدكتور سلطان بن ناصر الناصر (عضو المجلس الاستشاري لـ «**عطاءات العلم**»)، وتولت «**عطاءات العلم**» الإشراف عليه تتميمًا ومراجعةً وتوثيقًا وصفًّا وإخراجًا.

نسأل الله ﷻ أن ينفع بهذه الإصدارات العلمية المهذبة كما نفع بأصولها، وأن يبارك فيها وينفع بها الأمة، ويجزل الأجر، ويعظم المثوبة للشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي ومؤسسته الخيرية علىٰ رعايتها المباركة التي أثمرت هذا المشروع وأصله، ولفضيلة الشيخ الدكتور سلطان بن ناصر الناصر وجميع المشاركين فيه، ويجعله من العلم النافع الذي يستمر ثوابه ولا ينقطع. والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.





مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن تبع هداهم واقتفىٰ سننهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فإن الإمام الحافظ أبا عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بـ«ابن قيم الجوزية»، المولود سنة ٦٩١، والمتوفىٰ سنة ٧٥١ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من أعلىٰ أهل العلم مرتبة في جودة التصنيف وكثرة التأليف، وقد أسبغ الله علىٰ كتبه من النضارة وجمال العبارة ما بهر عقول العلماء؛ لما فيها من استقصاء أصول المسائل وآثارها، وإبراز مقاصد الشريعة وأسرارها، فصار لها من القبول والانتشار والأثر ما هو لائق بتلك العلوم والفوائد والدرر.

ولما كانت مؤلفات هذا الإمام الجليل زاخرة بالتحقيقات العلمية والتجليات الإيمانية التي تعظم حاجة الناس إلىٰ مداومة النظر فيها علىٰ اختلاف مستوياتهم المعرفية، فضلًا عن طلاب العلوم الشرعية، والتي قد يحول دون قراءتها ورودُها بين أمواج بحر تقريراته وردوده ذات النفس الطويل؛ ظهرت الحاجة لتقريب مصنفاته بتقديم تهذيبات علمية مركزة لمباحثها وأفكارها، دون ما فيها من الاستطرادات التي لا تكون محل اهتمام لدىٰ غير المختصين بموضوعاتها، فجاء هذا العمل محققًا لتلك الغاية الشريفة، خدمةً لعموم المسلمين وخاصتهم، سواء منهم من لم يتسنَّ له قراءة الأصل، ومن أراد تكرار النظر في زبدة ذلك الأصل،

وجاريًا علىٰ طريقة أهل العلم في اختصار التصانيف وتهذيبها، وذلك من أغراض التأليف ومقاصده المشهورة، كما عبَّر عنه ابن خلدون في مقدمته بقوله: «أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهات للفنون مطولًا مسهبًا؛ فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر إن وقع».

وقد جرى العمل في التهذيب وفق منهج يتلخص فيما يأتي:

١- إثبات ألفاظ المؤلف بدون تصرف فيها، ولا زيادة عليها.

٢- المحافظة علىٰ ترتيب ورود النصوص في الأصل بدون تقديم أو تأخير.

٣- الاقتصار علىٰ صلب الفكرة المقصودة، وحذف الاستطرادات، مع الحرص علىٰ إظهار السياق علىٰ نحوٍ متسق.

٤- الاختصار في عرض الأقوال والأدلة والنقاشات والتعريفات ونحوها.

٥- إثبات جميع عناوين الأبواب والفصول، ولو كان المحذوف فيها كثيرًا.

٦- إبراز بعض الفوائد والعبارات الصالحة للانتقاء والاقتباس، وذلك بتحبيرها باللون الأحمر.

٧- وضع قائمة في آخر التهذيب بالفوائد والعبارات المنتقاة التي وردت في الأصل، ولم تثبت في التهذيب؛ نظرًا لعدم ملاءمتها للسياق؛ لورودها في نصٍّ لم يطابق شرط التهذيب.

٨- الاعتماد علىٰ النص المحقق في الإصدارات العلمية المتقنة التي تولت نشرها والإشراف عليها «عطاءات العلم».

وقد تكرمت «عطاءات العلم» جزاها الله خيرًا بخدمة التهذيب بما يأتي:

١- تخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا من حواشي الأصل.

٢- شرح الألفاظ الغريبة شرحًا مختصرًا مستفادًا من حواشي الأصل.

٣- وضع عناوين جانبية للموضوعات في بداية الفصول.

٤- وضع أرقام صفحات الأصل علىٰ هامش الصفحات الأيمن والأيسر.

٥- وضع فهرس للفوائد والعبارات الصالحة للاقتباس في نص التهذيب أو النصوص المحذوفة من الأصول.

٦- وضع فهرس مفصل للكتاب.

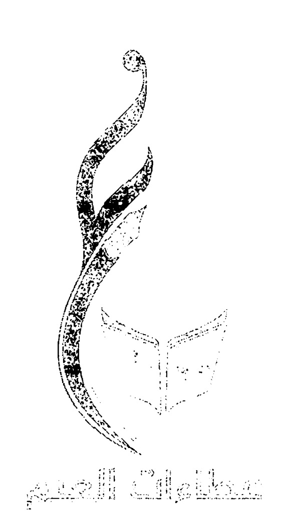
٧- مراجعة التهذيب وتحكيمه علميًّا.

٨- التجهيز للطباعة.

وأجزل الشكر وأوفاه للمؤسسة العلمية الرائدة «**عطاءات العلم**» لجهودها في خدمة هذا المشروع، ولكل من أسهم في إنجازه بسهم، تحقيقًا لأصوله، ومراجعة لنصوصه، وتنسيقًا لها وإخراجًا، تقبل الله من الجميع أعمالهم، وبارك فيها، وجعلها خالصة لوجهه، إنه سميع مجيب.

وكتب

د. سُلطان بن نَاصِر النَّاصِر


عطاءات العلم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٣/١

مقدمة المؤلف

الحمد لله الَّذي جعل جنَّات الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلًا، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شُغُلًا، وسهَّل لهم طُرقها، فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذُلُلًا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إيَّاها قبل أن يُوجدهم، وحجبها بالمكاره، وأخرجهم إلىٰ دار الامتحان، ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملًا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدَّة الحياة الفانية دونه أجلًا، أودعها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علي قلب بشر، وجلَّاها عليهم حتَّىٰ عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشَّرهم بما أعدَّ لهم فيها علىٰ لسان رسوله خير البشر، وكمَّل لهم البشرىٰ بكونهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨].

والحمد لله فاطرِ السماوات والأرضِ، جاعل الملائكة رسلًا، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للنَّاس علىٰ اللهِ حُجَّةٌ بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثًا، ولم يتركهم سُدىً، ولم يغفلهم هملًا، بل خلقَهم لأمرٍ عظيمٍ، وهيَّأَهم لِخَطْبٍ جسيم، وعمَّر لهم دارين، فهذه لمن أجابَ الدَّاعي، ولم يبغِ سوىٰ ربه الكريم بدلًا، وهذه لمن لم يُجب دعوته، ولم يرفع بها رأسًا، ولم يعلِّق بها أمَلًا.

والحمد لله الَّذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوزَ لهم عن الكثير من الزَلل، وأفاضَ عليهم النعمة، وكتب علىٰ نفسه الرحمة، وضمَّن الكتاب الَّذي كتبه: أنَّ رحمته سبقت غضبه. دعا عباده إلىٰ دار السلام، فعمَّهم بالدَّعوة حُجَّةً منه عليهم وعَدلًا، وخصَّ بالهداية والتوفيقِ من شاء نعمةً منه وفضلًا، فهذا عدْلُه وحكمته، وهو العزيز الحكيم، وذلك فضلُه يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، شهادةَ عبده وابن عبدِه وابن أمَتِه، ومن لا غنىٰ به طرفة عينٍ عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنَّة والنجاة من النَّار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، وأمينُه علىٰ وحيِه، وخيرته من خَلْقِه، أرسله رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ومحجَّةً للسَّالكين، وحُجَّةً علىٰ العباد أجمعين، بعثه للإيمان به مناديًا، وإلىٰ دار السَّلام داعيًا، وللخليقة هاديًا، ولكتابه تاليًا، وفي مرضاته ساعيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، أرسلَه علىٰ حين فترةٍ من الرسل، ودروسٍ من السبل، فهدىٰ به إلىٰ أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترَض علىٰ العباد طاعته ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، والقيامَ بحقوقه، وسدَّ إلىٰ الجنَّة جميع الطرقِ، فلم يفتحها لأحدٍ إلَّا من طريقه، فلو أتوا من كلِّ طريق، واستفتحوا من كلِّ بابٍ، لَمَا فُتِحَ لهم حتىٰ يكونوا خَلْفَهُ من الدَّاخلين، وعلىٰ منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحانَ من شرحَ له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذِكْرَهُ، وجعل الذلَّة والصغار علىٰ من خالفَ أمره.

فدعا إلىٰ اللهِ وإلىٰ جنته سرًّا وجهارًا، وأذَّنَ بذلك بين أظهُرِ أُمَّتِهِ ليلًا ونهارًا، إلىٰ أنْ طلع فجرُ الإسلام، وأشرقت شمسُ الإيمان، وعلتْ كلمة الرحمن، وبَطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرضُ بعد ظلماتها، وتألَّفت به القلوب بعد تفرُّقها وشتاتها، فأشرقَ وجه الدهر حسنًا، وأصبح الظلامُ ضياءً، واهتدىٰ كلُّ حيران، فلمَّا أكملَ اللهُ به دينه، وأتمَّ به نعمته، ونشرَ به علىٰ الخلائق رحمته، فبلَّغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في اللهِ حقَّ جهاده = خيَّره بين المُقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاءَ ربِّه محبَّةً له، وشوقًا إليه، استأثر به ونقله

إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، والمحل الأرفع الأسنىٰ، وقد ترك أمته علىٰ الواضحة الغرَّاء، والمَحَجَّةِ البيضاء، فسلك أصحابُه وأتباعهم علىٰ أثره إلىٰ جنَّات النَّعيم، وعدلَ الراغبون عن هديه إلي طريقِ الجحيم: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

فصلَّىٰ اللهُ وملائكته وأنبياؤه ورسله وعبادُه المؤمنون عليه، كما وحَّد الله وعبَدَهُ، وعرَّفنا به ودعا إليه.

أمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لم يخلق خلقَهُ عَبَثًا، ولم يتركهم سُدًىٰ، بل خلقهم لأمرٍ عظيمٍ، وخطْبٍ جسيمٍ، عُرِضَ علىٰ السماوات والأرض والجبال فأبينَ وأشْفَقْنَ منه إشفاقًا ووجلًا، وقلن: ربَّنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعةً، وإن خَيَّرْتَنا فعافيتك نُريد، لا نَبْغي بها بدَلًا. وحمَلَهُ الإنسانُ علىٰ ضَعْفِهِ وعجزِه عن حمله، ونَاءَ به علىٰ ظُلمه وجهله، فألقىٰ أكثرُ النَّاسِ الحِمْلَ عن ظهورهم لشدَّة مؤنَتِهِ عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبةَ الأنعام السَّائمة، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقِّهِ عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلىٰ هذه الدَّار، التي هي طريق ومَعْبر إلىٰ دار القرار، ولا يَتَفكَّرُون في قلَّة مقامهم في الدنيا الفانية، وسُرعة رحيلهم إلىٰ الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعثُ الحِسِّ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرَّتهم الأمانيُّ الباطلة، والخُدَع الكاذبة، فخدَعَهم طولُ الأمل، ورَانَ علىٰ قلوبهم سوءُ العمل، فهِمَمُهُم في لذَّات الدنيا، وشهوات النفوس، كيف حَصَلَتْ حصَّلوها، ومن أيِّ وجهٍ لاحت لهم أخذوها، إذا أبدىٰ لهم حظٌّ من الدنيا ناجِذَيْه طاروا إليه زُرَافاتٍ[1] ووحدانًا، وإذا عَرض لهم عرضٌ عاجلٌ من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾

---

(١) الزرافات: الجماعات، والزرافة -بالفتح-: الجمع من الناس. انظر: «الصحاح» (٢/ ١٠٤٨).

[الروم:٧]، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

والعَجبُ كلُّ العجب مِنْ غفلة مَنْ لحظاتُه معدودةٌ عليه، وكل نَفَسٍ من أنفاسه لا قيمة له، وإذا ذهب لم يرجع إليه، فمَطَايا الليلِ والنَّهار تُسرِعُ به، ولا يتفكَّرُ إلىٰ أين يُحْمل، ويسارُ به أعظم من سير البَرِيْدِ، ولا يدري إلىٰ أيِّ الدَّارين يُنقل، فإذا نَزَلَ به الموتُ اشتدَّ قلقُهُ لخراب ذاتِهِ، وذهاب لذَّاتِهِ، لا لِمَا سبقَ من جنَاياتِهِ، وسلَفَ مِنْ تَفْرِيْطِهِ، حيثُ لم يُقَدِّم لحياته، فإن خطرتْ له خطرَةٌ عارضةٌ لِمَا خُلِقَ له، دَفَعَها باعتماده علىٰ العفو، وقال: قد أنبأنا الله أنَّه هو الغفور الرحيم، وكأنَّه لم يُنبَّأ: أنَّ عذابه هو العذابُ الأليم.

فصل

١/ ٨

تشمير المؤمنين بالعمل للجنة

ولمَّا علم المُوَفَّقون ما خُلقوا له، وما أُريدَ بإيجادهم، رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَم الجنة قد رُفِعَ لهم، فشَمَّروا إليه، وإذا صراطُها المستقيم قد وَضَحَ لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظمِ الغَبْنِ[1] بيعُ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، في أبدٍ لا يزول، ولا ينفذُ = بصُبَابَة[2] عيشٍ، إنَّما هو كأضغاث أحلام، أو كطيفٍ[3] زارَ في المنَام، مَشوبٍ بالنُّغَصِ[4]، ممزوجٍ بالغُصَصِ[5]، إنْ أضحك قليلًا

(١) الغبن: النقص، «الصحاح» (٢/ ١٥٨٩).

(٢) الصُّبابة: البقيَّة من الماءِ في الإناء. «الصحاح» (١/ ١٧٦)، والمعنىٰ: بحياةٍ قصيرة.

(٣) الطائف: ما كان كالخيال، يلمُّ بالشخص. «المعجم الوسيط» (ص: ٥٩٨).

(٤) النغص: الكدر. «الصحاح» (١/ ٨٣٠).

(٥) الغُصَص: ما اعترض في الحَلْق من شجىٰ أو طعام أو شراب. «الصحاح» (١/ ٨٢١)، و«المعجم الوسيط» (ص: ٦٨٦).

أبكىٰ كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا أحزنَ شهورًا، آلامُهُ تزيدُ علىٰ لذَّاتِهِ، وأحزانه أضعافُ أضعاف مَسَرَّاتِهِ، أوله مخَاوف، وآخرُهُ مَتَالِف.

فيَا عَجبًا من سفيهٍ في صورة حكيم، ومعتوهٍ في مِسْلَاخ[١] عاقلٍ، آثر الحظ الفاني الخسيس، علىٰ الحظِّ الباقي النفيس، وباع جنَّةً عرضها السماوات والأرض؛ بسجنٍ ضيِّقٍ بين أرباب العاهات، ومساكن طيِّبةً في جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهارَ، بأعْطَانٍ[٢] ضيقة آخرها الخرابُ والبوار، وأبكارًا عُرُبًا أَتْرَابًا، كأنَّهنَّ الياقوتُ والمرجان؛ بِقَذراتٍ دَنِسَات سيئات الأخلاق مسافحات، أو متخذات أَخْدَانٍ[٣]، وحُوْرًا مقصورات في الخيام؛ بخبيثات مُسِيئاتٍ بين الأنامِ، وأنهارًا من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين؛ بشرابٍ نَجس مُذهبٍ للعقل مُفسدٍ للدنيا والدِّين، ولذَّة النظر إلىٰ وجه العزيز الرحيم؛ بالتمتع برؤية الوجهِ القبيح الدميم، وسماعَ الخطاب من الرحمن؛ بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس علىٰ منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المَزيد؛ بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطانٍ مريدٍ، ونداءَ المنادي يا أهل الجنَّة: «إنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبُّوا فلا تهرموا»[٤]؛ بغناءِ المُغَنِّين:

وقَفَ الهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّــرٌ عَنْـــهُ ولا مُتَقَـــدَّمُ

أَجِـدُ المَلامَـةَ في هَـوَاكِ لذيــذة ... حُبًّـا لِذِكْـرِكِ، فَلْيَلُمْنِـي اللُّـوَّمُ[٥]

وإنَّما يظهرُ الغَبْنُ الفاحشُ في هذا البيعِ يومَ القيامة، وإنَّما يتبينُ سَفَهُ بائِعِهِ يوم

---

(١) المسْلاخ: الإهاب، أي: الجلد. «الصحاح» (١/ ٣٧٠)، و«المعجم الوسيط» (ص: ٤٦٨).

(٢) الأعطان جمع عَطَن، وهو مبارك الإبل عند الماء لتشرب عَلَلاً بعد نَهَلٍ. «الصحاح» (٢/ ١٥٨٤).

(٣) أخدان جمع خِدْن، والخدين: الصَّديق. «الصحاح» (٢/ ١٥٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٥) انظر: «ديوان أبي الشيص الخزاعي» (ص: ١٠١ - ١٠٢).

الحسرةِ والندامة، إذا حُشِرَ المتقون إلىٰ الرحمن وفدًا، وسيقَ المجرمون إلىٰ جهنَّم وِرْدًا، ونادىٰ المُنادي علىٰ رؤوس الأشهاد، ليعلمنَّ أهلُ الموقفِ من أولىٰ بالكرمِ من بين العبادِ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أُعِدَّ لهم من الإكرام، وادُّخرَ لهم من الفضل والإنعام، وما أُخْفِيَ لهم من قُرَّة أعين، لم يقعْ علىٰ مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر = لَعَلِمَ أيَّ بضاعة أضاع، وأنَّه لا خيرَ له في حياته، وهو معدودٌ من سَقَطِ المتاعِ، وعلمَ أنَّ القومَ قد توسَّطوا مُلْكًا كبيرًا، لا تعتريه الآفات، ولا يلحَقه الزوال، وفازوا بالنَّعيمِ المُقيمِ في جوار الكبير المُتَعَالِ.

فهُمْ في روضاتِ الجنَّات يتقلبون، وعلىٰ أَسِرَّتِهَا تحت الحِجَالِ يجلسون، وعلىٰ الفُرشِ -التي بطائنها من استبرقٍ- يتَّكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:١٧-٢٤]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ(١) ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

تاللهِ، لقد نُوديَ عليها في سوقِ الكَسادِ، فما قلَّبَ ولا استام إلَّا أفرادٌ من العباد، فواعجبًا لها كيفَ نامَ طالبُها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبُها؟ وكيف طابَ العيش في هذه الدَّار بعد سماعِ أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القَرار، دون مُعانقة أبكارها؟ وكيف قرَّتْ دونها أعينُ المُشتاقين؟ وكيف صَبَرتْ عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صَدَفَتْ عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأيِّ شيءٍ تعوَّضَتْ عنها نفوس المُعْرِضِينَ؟

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وخلف ويعقوب وحمزة والكسائي، وقرأ باقي العشرة «تشتهيه».
انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ص: ٢٧٦).

وَمَــا ذاك إلَّا غيــرةً أنْ يَنَالهــا سِــوَىٰ كفئها، والرَّبُّ بالخلق أعلَمُ
وإنْ حُجِبَتْ عنَّا بكلِّ كريهةٍ وحُفَّت بمــا يؤذي النفــوس ويُؤْلِمُ
فللَّهِ مــا في حشــوها من مَسرَّةٍ وأصنــافِ لــذَّاتٍ بهــا يُتَنَعَّــمُ
ولله بــردُ العيشِ بينَ خيــامها وروضاتها، والثغرُ في الروضِ يَبسِـمُ
ولله واديها الَّذي هو موعدُ الـ مزيد لِوَفْـدِ الحُبِّ، لو كُنْـتَ مِنْهُم
بذيَّالــك الــوادي يهيــمُ صبــابة مُحِــبٌّ يــرَىٰ أنَّ الصبابــةَ مغنــمُ
ولله أفــراحُ المُحــبين عنــدما يُخَاطِبُهــم مــن فوقهــم، ويُسَــلِّمُ
ولله أبصــارٌ تــرىٰ الله جهــرةً فلا الضيمُ يغشــاها، ولا هي تسـأمُ
فيا نظرةً أَهْدَتْ إلىٰ الوجهِ نَضْرَةً أَمِــنْ بعدِها يَســلو المحــبُّ المُتيَّمُ
ولله كم من خَيْرَةٍ إنْ تَبَسَّمتْ أضــاء لهــا نورٌ مــن الفجــر أعظمُ
فيا لَذَّةَ الأبصار إنْ هي أقبلتْ ويــا لــذَّة الأســماع حيــن تكلَّــمُ
ويا خجْلَةَ الغصن الرطيب إذا انـ ـثنتْ ويا خجلة الفجرين حين تَبَسَّمُ
فإن كنت ذا قلبٍ عليل بحبها فلــم يَبْــقَ إلَّا وصلُهــا لــك مَرْهَمُ
ولا سيَّما في لَثْمِها عند ضمها وقد صارَ منها تحــت جيدِكَ معصمُ
تراه إذا أبدتْ لهُ حُسْنَ وجهِها يلَــذُّ بــه قبــل الوصــال، ويَنعَــمُ
تفكَّهُ فيها العينُ عند اجتلائها فواكــه شــتَّىٰ، طلعُهــا ليــس يُعْدَمُ
عناقيدَ من كرمٍ، وتفاحَ جنَّةٍ ورمَّــانَ أغصــانٍ بــه القلــبُ مغرمُ
ولِلوَرد ما قد ألبَسَتْهُ خُدودُهَا وللخمر ما قــد ضمَّهُ الرِّيــقُ والفمُ
تقسَّم منها الحسنُ في جمعٍ واحدٍ فَيــا عجبًــا مــن واحــدٍ يتقسَّــمُ
لها فِرَقٌ شتَّىٰ من الحُسنِ أُجمِعَتْ بجُملَتِهَــا، إنَّ السُّــلوَّ مُحَــرَّمُ
تُذَكِّرُ بالرَّحمن مَنْ هُوَ ناظرٌ فينطــقُ بالتَّســبيحِ لا يتلعثــمُ

إذا قَابَلَتْ جيشَ الهُموم بوجهها ... تولَّىٰ علىٰ أعقابه الجيشُ يُهْزَمُ
فيا خاطِبَ الحسناء إنْ كُنْتَ باغيًا ... فهذا زمانُ المَهر فهو المُقَدَّم
وكن مُبغضًا للخائنات لحبِّها ... فتحظىٰ بها من دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ
وكنْ أيِّمًا ممَّن سواها فإنَّها ... لمثلكَ في جنَّاتِ عَدْنٍ تأَيَّمُ
وصُمْ يومَكَ الأدنىٰ لعلَّك في غدٍ ... تفوزُ بعيد الفطر، والنَّاسُ صُوَّمُ
وأقدمْ ولا تقنعْ بعيشٍ مُنَغَّصٍ ... فما فاز باللَّذاتِ من ليس يُقدِمُ
وإنْ ضاقت الدنيا علَيك بأسرها ... ولم يكُ فيها مَنْزِلٌ لك يُعْلَمُ
فحيَّ علىٰ جنَّاتِ عدنٍ فإنَّها ... منازلُك الأولىٰ وفيها المُخيَّمُ
ولكنَّنا سَبْيُ العدوِّ فهل ترىٰ ... نَعودُ إلىٰ أوطاننا ونسلمُ
وقد زعموا أنَّ الغريبَ إذا نأىٰ ... وشطَّتْ بهِ أوطانُهُ فهوَ مُغرَمُ
وأيُّ اغترابٍ فوقَ غُربتنا التي ... لها أَضْحَتِ الأعداءُ فينا تَحَكَّمُ
وحيَّ علىٰ السوقِ الَّذي فيه يلتقي الـ ... مُحِبُّونَ ذاك السُّوق للقوم مُعلمُ
فما شئت خذْ منه بلا ثمنٍ له ... فقد أسلَفَ التُّجارُ فيه وأسلموا
وحيَّ علىٰ يومِ المزيد الَّذي به ... زيارةُ ربِّ العرشِ، فاليوم مَوسِمُ
وحيَّ علىٰ وادٍ هنالكَ أَفْيَحٍ[1] ... وتُربتهُ مِنْ أذْفَرِ المِسْكِ أَعْظَمُ
منابرُ من نورٍ هناكَ وفضةٍ ... ومن خالصِ العِقْيان[2] لا يتقصَّمُ
وكثبانُ مسكٍ قد جُعِلْنَ مقاعدًا ... لِمَنْ دونَ أصحابِ المنابر تُعلم
فبينا همُ في عيشِهم وسرورهم ... وأرزاقُهُم تجري عليهم وتُقْسَمُ

---

(١) الأفيح: الواسع. «الصحاح» (١/ ٣٤٨).

(٢) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص ممَّا يختلط به من الرِّمال والحجارة. «المعجم الوسيط» (ص: ٦٤٨). و«الصحاح» (٢/ ١٧٦٧).

إذا هـمْ بنورٍ ساطعٍ أشْرَقَتْ لـه ... بأقطارهـا الجنَّـاتُ لا يُتَوَهَّـمُ
تَجَلَّىٰ لَهُمْ ربُّ السماوات جهْرَةً ... فيضحَـكُ فوقَ العـرشِ ثُـمَّ يُكَلِّمُ
سَلَامٌ عليكم يسمعون جميعُهُم ... بآذانهـم تَسْـليمَه إذْ يُسَـلِّمُ
يقولُ سَلوني ما اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ ما ... تُريـدونَ عنـدي، إنَّنـي أنـا أرْحَمُ
فقالوا جميعًا: نحنُ نسْألُكَ الرضا ... فأنْـتَ الَّذي تولي الجميـلَ وترحمُ
فيعطيهم هذا، ويُشهِدُ جمعهم ... عليـه، تعالـىٰ اللهُ، فـاللهُ أكـرمُ
فيا بائعًا هذا ببخسٍ مُعَجَّلٍ ... كأنَّك لا تَـدري، بلىٰ سـوفَ تَعْلَمُ
فإنْ كُنْتَ لا تدري فتلكَ مصيبةٌ ... وإنْ كنتْ تَـدْري فالمصيبة أعظمُ(١)

فصل

١/ ١٥

سبب تأليف المؤلف لكتابه

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه، فهو للمَحْزونِ سَلْوَةٌ، وللمشتاق إلىٰ تلك العرائسِ جَلوة، محرِّكٌ للقلوب إلىٰ أجلِّ مطلوبٍ، وحادٍ للنفوس إلىٰ مُجاورة الملك القدوس، ممتعٌ لقارئه، مشوِّقٌ للناظر فيه، لا يَسأمُه الجليسُ، ولا يَملُّه الأنيس، مُشتَمِلٌ من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، علىٰ ما لعلَّ المجتهد في الطلب لا يظْفَرُ به فيما سواهُ من الكتب، مع تضمُّنه لجملة كثيرةٍ من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرارُ المودعة في كثيرٍ من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثيرٍ من المشكلاتِ، والتنبيه علىٰ أصول من الأسماء والصفات.

---

(١) هذه الأبيات قطعة من «القصيدة الميميَّة» للمؤلف، وقد ذكر قطعة كبيرة منها في «طريق الهجرتين» (ص/ ٥١ - ٥٥)، وقُرئت علىٰ المؤلف كما في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٢/ ٤٥١ - ٤٥٢).

إذا نظر فيه النَّاظر زاده إيمانًا، وجلىٰ عليه الجنَّة حتىٰ كأنَّه يشاهدها عيانًا، فهو مثيرُ ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنَّات، وباعث الهمم العليات إلىٰ العيش الهنيِّ في تلك الغرفات.

وسميته «**حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**» فإنَّه اسمٌ يطابق مسمَّاهُ، ولفظٌ يوافق معناه، والله يعلمُ ما قصدتُ، وما بجمعه وتأليفهِ أردتُ، فهو عند لسان كل عبدٍ وقلبه، وهو المطلِعُ علىٰ نيته وكسبهِ، وكان جُلُّ المقصود منه بشارة أهلِ السنَّةِ بما أعدَّ اللهُ لهم في الجنَّة؛ فإنَّهم المستحقون للبُشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونِعَمُ اللهِ عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرَجَ عن سُنَّته فهم أعداؤهُ وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوَّام، ولا يتركون ما صحَّ عنه لقول أحدٍ من الأنام، والسُّنَّةُ أجلُّ في صدروهم من أنْ يُقَدِّموا عليها رأيًا فقهيًّا، أو بحثًا جدليًّا، أو خيالًا صوفيًّا، أو تناقضًا كلاميًّا، أو قياسًا فلسفيًّا، أو حكمًا سياسيًّا، فمن قدَّم عليها شيئًا من ذلك، فبابُ الصوابِ عليه مسدودٌ، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيُّها النَّاظرُ فيه لك غُنْمه، وعلىٰ مؤلفه غُرْمُهُ، ولك صَفْوُهُ، وعليه كَدَرُه، وهذه بضاعته المُزْجَاة تُعرَضُ عليك، وبَنَاتُ أفكارِهِ تُزَفُّ إليك، فإنْ صادفت كفؤًا كريمًا لن تعدم منه إمساكًا بمعروفٍ أو تسريحًا بإحسانٍ، وإنْ كان غيرَه فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّانِ، وما كان من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان، واللهُ بريٌ منه ورسوله.

وقد قسَّمتُ الكتاب سبعين بابًا.

الباب الأوَّل: في بيان وجود الجنَّة الآن.

الباب الثاني: في اختلاف النَّاس في الجنَّة التي أسكنها آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة في الأرض؟.

الباب الثالث: في سياق حجج من ذهب إلىٰ أنَّها جنَّةُ الخلدِ.

الباب الرَّابع: في سياق حجج الطائفة التي قالت: إنَّها في الأرض.

الباب الخامس: في جواب أرباب هذا القولِ لمن نازعهم.

الباب السادس: في جواب من زعمَ أنَّها جنَّةُ الخلدِ عن حجج منازعيهم.

الباب السَّابع: في ذكر شبه من زعمَ أنَّ الجنَّةَ لم تخلق بعد.

الباب الثامن: في الجواب عمَّا احتجوا به من الشبه.

الباب التاسع: في ذكر عدد أبواب الجنَّة.

الباب العاشر: في ذكر سعة أبوابها.

الباب الحادي عشر: في صفة أبوابها.

الباب الثاني عشر: في ذكر مسافة ما بين الباب والباب.

الباب الثالث عشر: في مكان الجنَّة، وأين هي؟.

الباب الرَّابع عشر: في مفتاح الجنَّة.

الباب الخامس عشر: في توقيع الجنَّة ومنشورها الَّذي يكتب لأهلها.

الباب السادس عشر: في بيان توحد طريق الجنَّة، وأنَّهُ ليس لها إلَّا طريقٌ واحد.

الباب السابع عشر: في درجات الجنَّة.

الباب الثامن عشر: في ذكر أعلىٰ درجاتها، واسم تلك الدرجة.

الباب التاسع عشر: في عرض الرب تعالىٰ سلعته علىٰ عباده وثمنها الَّذي طلبه منهم، وعقد التبايع الَّذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم.

الباب العشرون: في طلب الجنَّة أهلها من ربهم، وشفاعتها فيهم وطلبهم لها.

الباب الحادي والعشرون: في أسماء الجنَّة ومعانيها واشتقاقها.

الباب الثاني والعشرون: في عدد الجنَّات وأنواعها.

الباب الثالث والعشرون: في خلق الرب تعالىٰ لبعضها بيده.

الباب الرَّابع والعشرون: في ذكر بوابيها وخزنتها.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر أوَّل من يقرع باب الجنَّة.

الباب السادس والعشرون: في ذكر أوَّل الأمم دخولًا الجنَّة.

الباب السَّابع والعشرون: في ذكر السَّابقين من هذه الأمة إلىٰ الجنَّة وصفتهم.

الباب الثامن والعشرون: في سبق الفقراءِ الأغنياءَ إلىٰ الجنَّة.

الباب التاسع والعشرون: في ذكر أصناف أهل الجنَّة التي ضُمِّنت لهم دون غيرهم.

الباب الثلاثون: في أنَّ أكثر أهل الجنَّةِ هم أمَّة محمد ﷺ.

الباب الحادي والثلاثون: في أنَّ النساء في الجنَّة والنَّار أكثر من الرجال.

الباب الثاني والثلاثون: في مَنْ يدخل الجنَّة من هذه الأمة بغير حسابٍ، وذكر أوصافهم.

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر حثيات الرب ﷻ الذين يدخلهم الجنَّة.

الباب الرَّابع والثلاثون: في ذكر تربة الجنَّة وطينها وحصبائها وبنائها.

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر نورها وبياضها.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها.

الباب السابع والثلاثون: في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة، وإنْ لم يروها قبل ذلك.

الباب الثامن والثلاثون: في كيفية دخولهم الجنَّة وما يُستقبلون به عند دخولها.

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر صفة أهل الجنَّة في خَلْقهم وخُلُقِهِم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم.

الباب الأربعون: في ذكر أعلىٰ أهلِ الجنَّة منزلةً وأدناهم.

الباب الحادي والأربعون: في تحفة أهل الجنَّة أوَّل ما يدخلونها.

الباب الثاني والأربعون: في ذكر ريح الجنَّة، ومن مسيرة كم يوجد.

الباب الثالث والأربعون: في الأذان الَّذي يؤذن به المؤذن فيها.

الباب الرَّابع والأربعون: في أشجار الجنَّة وبساتينها وظلالها.

الباب الخامس والأربعون: في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها.

الباب السادس والأربعون: في ذكر الزرع في الجنَّة.

الباب السَّابع والأربعون: في ذكر أنهار الجنَّة وعيونها وأصنافها ومجراها الَّذي تجري عليه.

الباب الثامن والأربعون: في ذكر طعام أهل الجنَّة وشرابهم ومصرفه.

الباب التاسع والأربعون: في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها.

الباب الخمسون: في ذكر لباسهم وحليتهم وفرشهم وبسطهم وجنابذهم ونمارقهم وزرابيهم.

الباب الحادي والخمسون: في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم.

الباب الثاني والخمسون: في ذكر خَدَم أهل الجنَّة وغلمانهم.

الباب الثالث والخمسون: في ذكر نساء أهل الجنَّة وسراريهم وأصنافهنَّ وأوصافهنَّ وجمالهنَّ الظاهر والباطن.

الباب الرَّابع والخمسون: في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين، وذكر صفاتهنَّ ومعرفتهنَّ اليوم بأزواجهنَّ.

الباب الخامس والخمسون: في ذكر نكاح أهل الجنَّة ووطئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذي والمني.

الباب السادس والخمسون: في ذكر اختلاف النَّاس، هل في الجنَّة حملٌ وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين.

الباب السابع والخمسون: في ذكر سماع الجنَّة وغناء الحور العين.

الباب الثامن والخمسون: في ذكر مطايا أهل الجنَّة وخيولهم ومراكبهم.

الباب التَّاسع والخمسون: في زيارة أهل الجنَّة بعضهم بعضًا ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا.

الباب الستون: في ذكر سوق الجنَّة وما أعدَّ اللهُ فيه لأهلها.

الباب الحادي والستون: في زيارة أهل الجنَّة ربهم تبارك وتعالىٰ.

الباب الثاني والستون: في ذكر السحاب والمطر الَّذي يصيبهم في الجنَّة.

الباب الثالث والستون: في ذكر مُلْك الجنَّة، وأنَّ أهلها كلهم ملوك فيها.

الباب الرَّابع والستون: في أنَّ الجنَّة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخَلَد، وأنَّ موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها.

الباب الخامس والستون: في رؤية أهل الجنَّة ربهم تبارك وتعالىٰ بأبصارهم جهرة كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، وتجليه لهم ضاحكًا.

الباب السادس والستون: في تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة وخطابه لهم ومحاضرته إيَّاهم وسلامه عليهم.

الباب السابع والستون: في أبدية الجنَّة أنَّها لا تفنىٰ ولا تبيد.

الباب الثامن والستون: في ذكر آخر أهل الجنَّة دخولًا إليها.

الباب التاسع والستون: وهو بابٌ جامع، فيه فصول منثورة.

الباب السبعون: في المستحق لهذه البشارة دون غيره.

واللهُ سبحانه المسؤول أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مُدْنيًا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة له، ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهىٰ إليه، إنَّه خيرُ مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١/ ٢٤

الباب الأوَّل

في بيانِ وجودِ الجنَّة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنَّة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهدِ علىٰ اعتقاد ذلك وإثباته؛ مستندين في ذلك إلىٰ نصوص الكتابِ والسنَّة، وما عُلِمَ بالضرورة من أخبار الرُّسل كلهم من أوَّلهم إلىٰ آخرهم، فإنَّهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها. إلىٰ أنْ نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أنْ تكون الآن مخلوقة، وقالت: بل اللهُ ينشئها يومَ المعاد.

وقالوا: خَلْقُ الجنَّة قبل الجزاءِ عبث، فإنَّها تصير معطلة مُدَدًا متطاولة ليس فيها سكانها.

فحجروا علىٰ الربِّ تبارك وتعالىٰ بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة وشبَّهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشَّريعة الباطلة التي وضعوها للرب، أو حرَّفوها عن مواضعِها، وضلَّلوا وبدَّعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلفُ في عقائدهم: أنَّ الجنَّة والنَّارَ مخلوقتان، ويذكر من صنَّف في المقالات أنَّ هذه مقالة أهل السنَّة، والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

وقد دلَّ علىٰ ذلك من القرآن: قوله تعالىٰ: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ** ﴾ [النجم:١٣-١٥].

وقد رأىٰ النَّبي ﷺ سِدرَة المنتهىٰ، ورأىٰ عندها الجنَّة، كما في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثُمَّ انطلق بي جبريل حتَّىٰ أتىٰ**

سِدْرَةَ المنتهىٰ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجنَّة، فإذا فيها جَنابذُ اللُّؤلؤ، وإذا ترابها المسكُ»(١).

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث عبد الله بن عمر ﵄ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ أحدكم إذا ماتَ عُرِضَ علىٰ مقعده بالغداة والعَشِيِّ، إنْ كانَ من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة، وإنْ كان من أهل النَّارِ فمن أهل النَّارِ، فيُقال: هذا مقعدك حتَّىٰ يبعثك الله يومَ القيامة»**.

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» و«ابن حبان» وغيرهم من حديث البراء بن عازب ﵁ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جَنَازة رجلٍ من الأنصارِ - فذكر الحديث بطوله- وفيه: **«فينادي مناد من السَّماءِ: أنْ صَدَقَ عبدي، فأفرشوهُ من الجنَّة، وألبسوهُ من الجنَّة، وافتحُوا له بابًا إلىٰ الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطيبها»**(٣)، وذكر الحديث.

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّىٰ عنه أصحابه، وإنَّه ليسمع قَرْعَ نعالِهم قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ قال: فأمَّا المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورسوله، قال: فيقولان له: انظر إلىٰ مقعدك من النَّارِ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة. قال نبيُ الله ﷺ فيراهما جميعًا»**.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٤)، ومسلم (١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٣)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) والنسائي (٤/ ٧٨)، وابن ماجه (١٥٤٨). وصححه ابن منده في «الإيمان» (١٠٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٠٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

وفي «الصحيحين»[١] -واللفظ للبخاري- عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمسُ علىٰ عهد النَّبي ﷺ فذكر الحديث وفيه - فقال: «إنَّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يا رسول الله رأيناكَ تناولتَ شيئًا في مقامك، ثمَّ رأيناك تكعكعت[٢]، فقال: إنِّي رأيت الجنَّة، وتناولتُ عنقودًا، ولو أصبتُه لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأُرِيتُ النَّارَ، فلم أرَ منظرًا كاليومِ قطُّ أفظعَ، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: بكُفْرِهنَّ. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يَكفرنَ العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلىٰ إحداهنَّ الدهرَ كلَّه، ثمَّ رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيت منْكَ خيرًا قطُّ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إذْ أُقيمت الصلاةُ فقال: **«أيُّها النَّاسُ، إنِّي إمَامُكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا بِرَفْعِ رؤوسكم؛ فإنِّي أراكم من أمامي ومن خلفي، وأيمُ الَّذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلًا، وبكيتم كثيرًا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيتُ الجنَّة والنَّار»**.

وفي «الموطأ» و«السنن» من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّما نَسَمَةُ المؤمن طَيرٌ تعلقُ في شجر الجنَّة حتَّىٰ يرجعها الله إلىٰ جسده يوم القيامة»**[٤].

وهذا صريحٌ في دخول الروح الجنَّة قبل يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) تكعكع: هاب وتراجع بعدما أقدم. «المعجم الوسيط» (ص: ٨٢٦).

(٣) رقم (٤٢٦).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٤٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، والنسائي (٤/ ١٠٨). وسنده صحيح.

ومثله حديث كعب بن مالك ﵁ أيضًا عن النَّبي ﷺ: «**إنَّ أرواح الشهداء في طيْرٍ خُضرٍ تعلقُ من ثمر الجنَّة - أو شجر الجنَّة-**»(١) رواهُ أهل السُّنن، وصحَّحه الترمذي.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة ﵁: «**حُجِبت الجنَّة بالمكاره، وحُجِبَتِ النَّارُ بالشهوات**».

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النَّبي ﷺ قال: «**اختصمت الجنَّة والنَّارُ، فقالت الجنَّة يا ربِّ مالها إنَّما يدخلها ضُعَفَاءُ النَّاس وسَقَطُهُم؟ وقالت النَّارُ: يا رب ما لها يدخلها الجبَّارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيبُ بكِ مَنْ أشاءُ، وأنت عذابي أصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها**».

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث ابن عمر ﵄ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**اشْتكتِ النَّارُ إلىٰ ربِّها فقالت: أي ربِّ أكلَ بعضي بعضًا، فأذنَ لها بنَفَسَين: نفسٍ في الشِّتاء، ونفسٍ في الصَّيف**».

فإنْ قيل: ما منعكم من الاحتجاج علىٰ وجودها الآن بقصة آدم، ودخوله الجنَّة وإخراجه منها بأكله من الشجرة، والاستدلال بها في غاية الظهور؟!

قيل: الاستدلال بذلك وإنْ كان عند العامة في غاية الظهور، فهو في غاية الغموض؛ لاختلاف النَّاس في الجنَّة التي أسكنها آدم، هل كانت جنَّةَ الخُلْدِ التي

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٤٠)، وصححه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٢)، ومسلم (٢٨٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠١١)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٢)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة ﵁.

يدخلها المؤمنون يوم القيامة؟ أو كانت جنَّةً في الأرضِ في شَرْقِيِّها؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا، وما احتج به كلُّ فريقٍ علىٰ قولهم، وما ردَّ به الفريقُ الآخر عليهم، بحول الله وقوَّته.

١/ ٤٧

الباب الثاني

في اختلاف النَّاسِ في الجنَّة التي أُسكِنَها آدم، وأُهْبِطَ منها، هل هي جنَّة الخلد، أو جنَّة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرضِ؟

قال منذر بن سعيد في «تفسيره»: «وأمَّا قوله تعالىٰ لآدم: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥].

فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

وقال آخرون: هي جنَّة غيرها جعلها اللهُ له وأسكنه إيَّاها، ليست جنَّة الخلد.

قال: وهذا قولٌ يكثر الدَّلائل الشَّاهدة له، والموجبة للقول به».

وقال أبو الحسن الماوردي في «تفسيره»[1]: «واختلف النَّاسُ في الجنَّة التي أُسكِنَاها علىٰ قولين:

أحدهما: أنَّها جنَّة الخلد.

الثاني: أنَّها جنَّة أعدَّها اللهُ تعالىٰ لهما، وجعلها دار ابتلاء، وليست جنَّة الخلد التي جعلها دار جزاء.

ومن قال بهذا اختلفوا علىٰ قولين:

---

(١) «النكت والعيون» (١/ ١٠٤).

أحدهما: أنَّها في السَّماء؛ لأنَّه أَهْبَطَهُمَا منها، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنَّها في الأرضِ؛ لأنَّه امتحنهما فيها بالنَّهي عن الشجرة التي نُهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر.

وكان ذلك بعد أنْ أُمِرَ إبليس بالسجود لآدم عليه السَّلام، والله أعلمُ بصواب ذلك» هذا كلامه.

واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة، وجعله **قولًا رابعًا** فقال: «والقولُ الرَّابع: أنَّ الكل مُمْكن، والأدلة متعارضة، فَوَجَبَ التَّوقف وترك القطع».

فهذا ذكر بعض أقوال من حكىٰ الخلاف في هذه المسألة، ونحن نسوقُ حجج الفريقين إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ، ونبين ما لهم وعليهم إنْ شاء اللهُ تعالىٰ.

الباب الثالث ١/ ٥٦

في سياق حُجَج من اختارَ أنَّها جنَّة الخلد التي يدخلها النَّاس يوم القيامة

قالوا: قولنا هذا هو الَّذي فطرَ اللهُ عليه النَّاسَ صغيرهم وكبيرهم، لا يخطر بقلوبهم سواه، وأكثرُهم لا يَعْلَم في ذلك نزاعًا.

قالوا: وقد روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تعالىٰ النَّاسَ، فيقومُ المؤمنون حتىٰ تُزْلَف[2] لهم الجنَّة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا: استفتح لنا الجنة: فيقول: وهل أخرجكم

(١) رقم (١٩٥).
(٢) أي تُقَرَّب. انظر: «النهاية» (٢/ ٣٠٩).

من الجنَّة إلَّا خطيئة أبيكم؟» وذكر الحديث.

قالوا: وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الجنَّة التي أُخرج منها هي بعينها التي تُطْلَبُ منه أن يستفتحها.

وفي «الصحيحين»[١] حديث احتجاج آدم وموسىٰ، وقول موسىٰ: «**أخْرَجْتنا ونَفْسَك من الجنَّة**».

ولو كانت في الأرضِ، فهم قد خرجوا من بساتين، فلم يخرجوا من الجنَّة.

وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: «**وهل أخرجكم من الجنَّة إلَّا خطيئة أبيكم**»، وخطيئته لم تخرجهم من جِنَان الدنيا.

قالوا: وقد قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٥-٣٦] عقيب قوله «اهبطوا» فدلَّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

فهذا يدل علىٰ أنَّ هُبُوطهم كان من الجنَّة إلىٰ الأرضِ من وجهين:

أحدهما: من لفظة: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ فإنَّه نزول من علوٍّ إلىٰ سُفل.

والثاني: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة:٣٦]. عقيب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ فدلَّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

ثمَّ أكَّدَ هذا بقوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]، ولو كانت الجنَّة في الأرضِ لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٠)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قالوا: وقد وصَفَ سبحانه جنَّة آدم بصفاتٍ لا تكون إلَّا في جنَّة الخُلْدِ فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩].

وهذا لا يكون في الدنيا أصلًا، فإنَّ الرَّجل ولو كان في أطيب منازلها فلا بُدَّ أن يعرض له شيءٌ من ذلك، **وقابل سبحانه بين الجوع والعُرْي، والظمأ والضحى، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعري والضحى؛ فإنَّ الجوعَ ذلُّ الباطن، والعُري ذلُّ الظَّاهرِ، والظمأُ حرُّ الباطنِ، والضحى حرُّ الظاهرِ؛ فنفى عن ساكنها ذلَّ الظاهر والباطن، وحرَّ الظاهر والباطن، وهذا شأن ساكن جنَّة الخلدِ.**

قالوا: وأيضًا، فهذه القصة في سورة البقرة ظاهرةٌ جدًّا في أنَّ الجنَّة التي أُخْرِجَ منها فوق السَّماءِ، فإنَّه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٤ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٤-٣٧].

فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنَّةِ، ولهذا أتىٰ فيه بضمير الجمعِ.

فإذا تقرَّر هذا، فقد كرَّر سبحانه الإهباط ثانيًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

والظَّاهرُ أنَّ هذا الإهباط الثاني غيرُ الأوَّل، وهو إهباط من السماء إلىٰ الأرضِ، والأوَّل إهباط من الجنَّة، وحينئذٍ فتكون الجنَّة التي أُهْبِطُوا منها أوَّلًا فوق السَّماءِ = جنة الخلدِ.

قالوا: وأيضًا، فالجنَّة جاءت مُعَرَّفةً بلام التعريفِ في جميع المواضع، كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]. ونظائره، ولا جنَّة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلَّا جنَّة الخلدِ التي وعد الرَّحمن عباده بالغيب، فقد صارَ هذا الاسمُ عَلَمًا عليها بالغلبةِ: كالمدينةِ والنَّجمِ والبيت والكتاب ونظائرها، فحيثُ ورد لفظها مُعَرَّفًا انصرف إلىٰ الجنَّةِ المعهودةِ المعلومةِ في قلوبِ المؤمنين.

وأمَّا إنْ أُريدَ به جنَّة غيرها فإنَّها تجيءُ منكَّرةً أو مقيَّدةً بالإضافة، أو مقيَّدةً من السِّياقِ بما يدل علىٰ أنَّها جنةٌ في الأرضِ.

فالأوَّل: كقوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف:٣٢].

والثاني: كقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف:٣٩].

والثالث: كقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم:١٧].

فهذه بعض ما احتجَّ به القائلون بأنَّها جنَّة الخلد، ونحن نسوقُ حُجج الآخرين.

١/ ٦٦

الباب الرَّابع

في سياق حجج الطائفة التي قالت: ليست جنَّة الخلدِ، وإنَّما هي جنَّةٌ في الأرضِ

قالوا: هذا قول تكثر الدَّلائلُ الموجبة للقول به، فنذكر بعضها.

قالوا: قد أخبرَ اللهُ سبحانه علىٰ لسان جميع رسله: أنَّ جنة الخُلد إنَّما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بَعْدُ، وقد وصفها اللهُ سبحانه وتعالىٰ لنا في كتابه بصفاتها، ومُحال أن يصف اللهُ سبحانه وتعالىٰ شيئًا بصفة، ثمَّ يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفها به.

قالوا: فوجدنا الله تعالىٰ وصف الجنَّة التي أُعِدَّت للمتقين بأنَّها: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر:٣٥]، فمن دخلها أقام بها، ولم يقم آدم بالجنَّة التي دخلها.

ووصفها بأنَّها: ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الفرقان:١٥]. وآدم لم يُخَلَّد فيها.

ووصفها بأنَّها: دار ثوابٍ وجزاءٍ، لا دار تكليف وأمرٍ ونهي.

ووصفها بأنَّها: دار سلامةٍ مطلقةٍ، لا دار ابتلاءٍ وامتحانٍ، وقد ابتلي فيها آدم بأعظم الابتلاء.

وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر:٤٨]، وقد ندَّ فيها آدم هاربًا فارًّا، وطفق يخصف ورق الجنَّة علىٰ نفسه، وهذا النَّصَبُ بعينه.

وأخبر أنَّه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٣]، وقد سمع فيها آدم لغوَ إبليس وإثمه.

وأخبر أنَّه لا يُسْمَعُ فيها لغوٌ ولا كِذَّابٌ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كَذِب إبليس وإثمه.

وقد قال تعالىٰ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]،

ولم يقل: إنِّي جاعل في جنَّة المأوىٰ، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] ومحال أنْ يكون هذا في جنة المأوىٰ.

وقد أخبر اللهُ سبحانه عن إبليس أنَّه قال لآدمَ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

فإن كان اللهُ سبحانه وتعالىٰ قد أسكنَ آدم جنة الخلد والمُلك الَّذي لا يَبْلَىٰ، فكيف لا يرد عليه ويقول له: كيف تَدُلُّني علىٰ شيءٍ أنا فيه، وقد أُعْطِيتُه، ولم يكن اللهُ سبحانه وتعالىٰ قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنَّة أنَّه فيها من الخالدين، ولو علم أنَّها

دار الخلد لما ركن إلىٰ قول إبليس، ولا مال إلىٰ نصيحته، ولكنَّه لما كان في غير دار خلودٍ غرَّهُ بما أطمعه فيه من الخُلْدِ.

قالوا: ولو كان آدم أُسْكِنَ جنة الخلد، وهي دار القُدس التي لا يسكنها إلَّا طاهرٌ مقدَّسٌ، فكيف توصَّل إليها إبليسُ الرجس النجس المذموم المَدْحُور، حتىٰ فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له؟ وهذه الوسوسة: إمَّا أنْ تكون في قلبه، وإمَّا أنْ تكونَ في أُذُنِهِ، وعلىٰ التقديرين، فكيف توصلَ اللَّعينُ إلىٰ دخول دار المتقين.

وأيضًا؛ فبعد أنْ قيلَ له: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣]، أيفسح له أنْ يرقىٰ إلىٰ جنة المأوىٰ فوق السَّماء السَّابعة بعد السخط عليه، والإبعادِ له، والدَّحْر والطرد بعُتُوِّهِ واستكباره؟!

قالوا: ولو لم يكن مَعَنَا في المسألة إلَّا أنَّ اللهَ سبحانه أهبط إبليس من السَّماءِ حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه، ثمَّ أدخل آدم عليه السلام الجنَّة بعد هذا، فإنَّ الأمرَ بالسجود كان عقيب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنَّة فوق السماوات لم يكن لإبليس سبيلٌ إلىٰ صعودِهِ إليها، وقد أُهبِطَ منها.

وأمَّا تلك التقادير التي قدَّرتموها فتكلُّفات ظاهرة:

كقول من قال: يجوز أنْ يصعد إليها صعودًا عارضًا لا مستقرًّا.

وقول من قال: أدْخَلَتْه الحيَّة.

وقول من قال: دخل في أجوافهما.

وقول من قال: يجوزُ أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرضِ، وهما فوق السَّماء.

ولا يخفىٰ ما في ذلك من التعسف الشَّديد، والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا، فإنَّه لما أهبطه سبحانه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أُشْرِبَ عداوته، فلمَّا أسكنه جنته حسده عدوه، وسعىٰ بكيدِهِ وغروره في إخراجه منها، واللهُ أعلم.

قالوا: وأيضًا فمن المعلوم الَّذي لا ينازع فيه مسلمٌ أنَّ الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض، وأخبر أنَّه خلقه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، وأنَّه خلقهُ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]. فقيل: هو الَّذي له صلصلة ليُبْسِهِ.

وقيل: هو الَّذي قد تَغَيَّرت رائحته، من قولهم: صَلَّ اللحم إذا تغيَّرَ.

والحَمَأُ: الطِّيْنُ الأسود المُتَغير. والمَسْنُون: المَصْبُوب.

وهذه كلها أطوار للتراب الَّذي هو مبدؤه الأوَّل، كما أخبرَ عن أطوار خلق الذرية ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج:٥] ولم يخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّه رفعه من الأرضِ إلىٰ فوق السماوات، لا قبل التَّخْلِيق ولا بعده، فأين الدليل الدَّالُّ علىٰ إصْعاد مادَّته، أو إصعاده هو بعد خلقه، وهذا ما لا دليل لكم عليه، ولا هو لازِمٌ من لوازم ما أخبر اللهُ به؟

قالوا: فإذا جُمِعَ ما أخبر اللهُ سبحانه به من أنَّه خلقه من الأرضِ، وجعله خليفة في الأرضِ، وأنَّ إبليس وسوس إليه في مكانه الَّذي أسكنه فيه، بعد أنْ أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنَّه أخبر ملائكته أنَّه ﴿جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وأنَّ دار الخلد: دار جزاء وثوابٍ علىٰ الامتحان والتَّكاليف، وأنَّها لا لغوَ فيها ولا تأثيم ولا كِذَّابًا، وأن من دخلها لا يخرج منها، ولا يَبْؤُس ولا يحزن، ولا يخاف ولا ينامُ، وأنَّ اللهَ حرمها علىٰ الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جُمِعَ ذلك بعضه إلىٰ بعضٍ، وفكَّر فيه المُنْصِفُ الَّذي رُفِعَ له علم الدليل، فشمَّر إليه، وربأ

بنفسه عن حضيض التقليد تَبيَّن له الصوابُ، واللهُ الموفق.

فهذا أيضًا بعض ما احتجتْ به هذه الفرقة علىٰ قولها، واللهُ أعلم.

١/ ٧٩

الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأوَّل

قالوا: أمَّا قولكم: إنّ قولنا هو الَّذي فطر اللهُ عليه عباده بحيث لا يعرفون سِوَاهُ، فالمسألةُ سمعية لا تُعْرَفُ إلَّا بأخبار الرسل، ونحن وأنتم إنَّما تلقينا هذا من القرآن، لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتَّبع فيه ما دلَّ عليه كتابُ اللهِ تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ، ونحن نطالبكم بصاحبٍ واحدٍ، أو تابعٍ أو أثرٍ صحيحٍ أو حسن، يصرِّح بأنها جنَّةُ الخلد التي أعدَّها اللهُ للمؤمنين بعَيْنِهَا، ولن تجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا.

وأمَّا استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقول آدم: «**وهل أخرجكم منها إلَّا خطيئة أبيكم؟**»[١] فإنَّما يدلُّ علىٰ تأخُّر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التي تقدمت منه في دار الدنيا، وأنَّه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنَّة، كما في اللفظ الآخر: «**إني نُهيتُ عن أكل الشجرة فأكلت منها**»[٢]، فأينَ في هذا ما يدل علىٰ أنَّها جنة المأوىٰ بمطابقةٍ أو تَضَمُّن أو اسْتِلزام، وكذلك قول موسىٰ له: «**أخرجتنا ونفسَكَ من الجنَّة**»[٣]، فإنَّه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد.

وأمَّا استدلالكم بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة:٣٦] عقيب إخراجهم من

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٣٢).

الجنَّة، فلفظُ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلىٰ الأرض، وغايته أن يدلَّ علىٰ النزول من مكان عال إلىٰ أسفل منه، وهذا غير منكر، فإنَّها كانت جنَّةً في أعلىٰ الأرضِ، فأُهبِطوا منها إلىٰ الأرضِ.

وقد بيَّنَّا أنَّ الأمرَ كان لآدم وزوجه وعدوهما، فلو كانت الجنَّة في السماء لما كان عدوُّهما متمكنًا منهما بعد إهباطه الأوَّل؛ لمَّا أبىٰ السُّجود لآدم عليه السلام، فالآية إذًا من أظهر الحُجَجَ عليكم.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]، فهذا لا يدلُّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرضِ؛ فإنَّ الأرضَ اسمُ جنسٍ، وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها، في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا ضحىٰ، فأُهْبِطوا إلىٰ أرضٍ يعرض فيها ذلك كله، وفيها حياتهم وموتهم، وخروجهم من القبور، والجنَّة التي أسكناها لم تكن دار نصبٍ ولا تعبٍ ولا أذىً، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب، والأذىٰ وأنواع المكاره.

وأمَّا قولكم: إنَّه سبحانه وتعالىٰ وصفها بصفاتٍ لا تكون في الدنيا.

فجوابه: أنَّ تلك الصِّفات لا تكون في الأرضِ التي أهبطوا إليها، فمن أين لكم أنَّها لا تكون في الأرضِ التي أُهْبِطوا منها.

وأمَّا قولكم: إنَّ الجنَّة وردت مُعَرَّفةً باللَّامِ التي للعَهدِ فتنصرف إلىٰ جنَّة الخُلد، فقد وردت مُعَرَّفة باللَّام، غير مرادٍ بها جنَّة الخلد قطعًا، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:١٧].

فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

١/ ٨٦

الباب السَّادس

في جوابِ من زعمَ أنَّها جنَّة الخلد عمَّا احتجَّ به منازعوهم

قالوا: أمَّا قولكم: إنَّ اللهَ سبحانه أخبر أنَّ جنَّة الخلدِ إنَّما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأتِ زمن دخولها بَعْدُ.

فهذا حقٌّ في الدخول المطلق، الَّذي هو دخول استقرارٍ ودوامٍ، وأمَّا الدخول العارض، فيقع قبل يوم القيامة.

وقد دخل النَّبي ﷺ الجنَّة ليلة الإسراء[١]، وأرواح المؤمنين والشهداء في البَرْزخ في الجنَّة[٢]، وهذا غير الدخول الَّذي أخبر اللهُ به في يوم القيامة، فدخول الخُلُود إنَّما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أنَّ مُطْلق الدخول لا يكون في الدنيا، وبهذا خَرَجَ الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة، ودار الخلد؟

قالوا: وأمَّا احتجاجكم بسائرِ الوجوهِ التي ذكرتموها في الجنَّة، وأنَّها لم توجد في جنَّة آدم عليه السَّلام من العُري، والنصب والحزن واللَّغوِ والكذب وغيرها.

فهذا كله حقٌّ لا ننكره نحن، ولا أحد من أهل الإسلام، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإنَّ نفي ذلك مقرونٌ بدخول المؤمنين إيَّاها، وهذا لا ينفي أنْ يكونَ فيها بين أبوي الثقلين ما حكاهُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ من ذلك، ثمَّ يصير الأمر عند دخول المؤمنين إيَّاها إلىٰ ما أخبر اللهُ عنها، فلا تَنَافي بين الأمرين.

وأمَّا قولكم: إنَّها دارُ جزاءٍ وثوابٍ لا دار تكليفٍ، وقد كلَّف اللهَ سبحانه آدم

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٢٦ - ٢٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٩).

بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة، فدلَّ علىٰ أنَّ تلك الجنَّة دار تكليفٍ لا دار خلود.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنَّه إنَّما يمتنع أنْ تكون دارَ تكليفٍ إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فحينئذٍ ينقطع التكليف. وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا، فلا دليلَ علىٰ امتناعه البَتَّة، كيف وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**دخلتُ الجنَّة فرأيتُ امرأةً تَوَضَّأُ إلىٰ جانب قصرٍ فقلتُ لمن أنتِ..**»[1] الحديث.

وغير ممتنع أن يكون فيها منْ يعمل بأمر اللهِ ويعبد الله قبل يوم القيامة، بل هذا هو الواقع، فإنَّ مَنْ فيها الآن مُؤْتَمَرُون بأوامر مِنْ قِبل ربَّهم لا يتعدُّونها سواء سُمِّيَ ذلك تكليفًا أو لم يُسَمَّ.

الوجه الثاني: أنَّ التكليف فيها لم يكن بالأعمالِ التي يكلَّف بها النَّاس في الدنيا: من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنَّما كان حَجْرًا عليهما في شجرةٍ واحدةٍ من جملة أشجارها، إمَّا واحدة بالعَيْن أو بالنَّوع، وهذا القدرُ لا يمتنع وقوعه في دار الخلد، كما أنَّ كلَّ أَحَدٍ محجورٍ عليه أنْ يَقْرَبَ أهل غيرِهِ فيها، فإنْ أردْتُم بكونها ليست دار تكليفٍ امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات، فلا دليلَ عليه، وإنْ أردتم أنَّ تكاليف الدنيا منتفيةٌ عنها، فهو حقٌّ، ولكن لا يدل علىٰ مطلوبكم.

وأمَّا استدلالكم بقصة وسْوَسَة إبليس له بعد إهباطه، وإخراجه من السَّماء. فَلَعَمْرُ اللهِ إنَّه لَمِنْ أَقْوَىٰ الأدلة، وأظهرها علىٰ صحة قولكم، وتلك التَّعسُّفاتِ كدخوله الجنَّة، وصعوده إلىٰ السَّماءِ بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها مُنْصِف؛ ولكن لا يمتنع أن يصعد إلىٰ هناكَ صُعُودًا عارِضًا لِتَمام الابتلاءِ والامتحان الَّذي

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٨) من حديث جابر ﷺ، و(٦٦٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم (٢٣٩٤ و ٢٣٩٥).

قدَّره اللهُ تعالىٰ وقدَّر أسبابه، وإنْ لم يكن ذلك المكان مَقْعَدًا له مُسْتَقِرًّا كما كان، وقد أخبر اللهُ سبحانه عن الشياطين أنَّهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ، يقعدون من السَّماء مقاعد للسمع، فيستمعون الشيءَ من الوحي، وهذا صعودٌ إلىٰ هناك، ولكنَّه صعودٌ عارضٌ لا يستقرون في المكان الَّذي يصعدون إليه = مع قوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ﴾ [البقرة:٣٦]، [الأعراف:٢٤] فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتملٌ، واللهُ أعلم.

وأمَّا احتجاجكم بكونه خُلِقَ من الأرض، فلا ريب في ذلك، ولكن من أين لكم أنَّه كَمَّلَ خَلْقَهُ فيها؟ وقد جاء في بعض الآثارِ: «أنَّ اللهَ سبحانه ألقاهُ علىٰ باب الجنَّة أربعين صباحًا، فجعل إبليسُ يَطِيْفُ به، ويقول: لأمرٍ ما خُلِقْتَ، فلمَّا رآهُ أجوفَ علم أنَّه خلق لا يَتَمالك، فقال: لئن سُلِّطْتُ عليه لأُهْلِكَنَّهُ، وإنْ سُلِّطَ عليَّ لأَعْصِينَّه»[1]، مع أنَّ قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:٣١-٣٣] يدلُّ علىٰ أنَّه كان في السَّماء معهم بحيثُ أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلىٰ الأرضِ، حتَّىٰ سمعوا منه ذلك، ولو كان خلْقُه قد كمل في الأرضِ لم يمتنع أنْ يصعده سبحانه إلىٰ السَّماءِ لأمرٍ دَبَّرهُ وقدَّرهُ ثمَّ يعيدهُ إلىٰ الأرضِ، فقد أصعد المسيح صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ السَّماءِ، ثمَّ ينزله إلىٰ الأرضِ قبل يوم القيامة، وقد أسرىٰ ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلىٰ فوق السماوات.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

فهذا جواب القائلين بأنَّها جنَّة الخلد لمنازعيهم، واللهُ أعلم(١).

الباب السَّابع ١/ ٩١

في ذكر شُبَه من زعم أنَّ الجنَّة لم تُخلق بعد

قالوا: لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضْطِرارًا إلىٰ أنْ تَفْنىٰ يوم القيامة، وأن يَهْلِك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فتموت الحور العين التي فيها والوِلْدان، وقد أخبر اللهُ سبحانه أنَّ الدَّار دار خلود، ومن فيها يخلدون لا يموتون فيها، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خُلْف ولا نسخ.

قالوا: وقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيتُ إبراهيم ليلةَ أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أُمَّتَكَ منِّي السَّلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيبةُ التربة عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعان، وأنَّ غراسها: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، واللهُ أكبر»**(٢). قال: «هذا حديث حسن غريب».

وفيه أيضًا، من حديث أبي الزبير عن جابر ﷺ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: **«من قالَ سبحانَ الله وبحمدهِ، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّة»**(٣). قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح».

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجنَّة التي أُسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة، وأهل السنَّة والجماعة: هي جنة الخلد، ومن قال إنَّها جنَّة في الأرضِ بأرض الهند، أو بأرض جُدَّة، أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والمعتزلة. والكتاب والسنَّة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متَّفقون علىٰ بطلان هذا القول...». راجع «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٤٧ - ٣٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وهو حديث ضعيف، كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ١٧٠ - ١٧١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وصححه ابن حبان (٣/ ٨٢٦ و ٨٢٧).

قالوا: فلو كانت الجنَّة مخلوقةً مفروغًا منها، لم تكن قيعانًا، ولم يكن لهذا الغرس معنىٰ.

وأصرح من هذا قول النَّبي ﷺ: «**من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ اللهُ له به بيتًا في الجنَّة**» متفق عليه(١).

وهذه جُمْلة مركَّبة من شَرْطٍ وجزاءٍ، تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية.

١/ ٩٥

الباب الثامن

في الجواب عمَّا احتجت به هذه الطائفة

وقد تقدَّم في الباب الأوَّل من ذكر الأدلَّة الدَّالة علىٰ وجود الجنَّة الآن ما فيه كفاية.

فنقول: ما تعنون بقولكم: إنَّ الجنَّة لم تُخْلَق بَعْدُ؟ أتريدون أنَّها الآن عدَمٌ محضٌ لم تدخل إلىٰ الوجود بعدُ، بل هي بمنزلة النفخ في الصُّور، وقيام النَّاس من القبور؟ فهذا قولٌ باطلٌ يَرُدُّه المعلوم بالضَّرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدَّم بعضها، وسيأتي بعضها، وهذا قول لم يقله أحد من السلف، ولا أهل السنَّة، وهو باطل قطعًا. أم تريدون أنَّها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعدَّ اللهُ فيها لأهلها، وأنَّها لا يزال اللهُ يُحْدِثُ فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أَحْدثَ اللهُ فيها عند دخولهم أُمُورًا أُخر، فهذا حقٌّ لا يمكن ردُّه.

وأدلتكم هذه إنَّما دلَّت علىٰ هذا القدر، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه الَّذي

(١) أخرجه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ذكرتموه، وحديث أبي الزبير، عن جابر[1]: صريحان في أنَّ أرضها مخلوقة، وأنَّ الذِّكْر يُنشئ اللهُ سبحانه لقائله منه غراسًا في تلك الأرضِ، وكذا بناءُ البيوت فيها بالأعمال المذكورة، والعبد كلَّما وسَّع في أعمال البر وُسِّعَ له في الجنَّة، وكلَّما عمل خيرًا غُرِسَ له به هناك غِراس، وبُنِيَ له به بناء، وأُنْشئ له من عمله أنواع ممَّا يتمتعَّ به، فهذا القدرُ لا يدلُّ علىٰ أنَّ الجنَّة لم تخلق بعد، ولا يسوغ إطلاق ذلك.

وأمَّا احتجاجكم بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] فإنَّما أُتِيتُم من عَدَم فهمكم معنىٰ الآية، واحتجاجكم بها علىٰ عدم وجود الجنَّة والنَّارِ الآن نظير احتجاج إخوانكم بها علىٰ فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وُفِّقْتُم لِفَهْمِ معناها ولا إخوانكم، وإنَّما وُفِّقَ لفهم معناها السلف، وأئمة الإسلامِ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخاري في «صحيحه»: «يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلَّا ملكه، ويقال: إلَّا ما أُريد به وجهه»[2].

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: «فأمَّا السَّماء والأرض فقد زالتا؛ لأنَّ أهلها صاروا إلىٰ الجنَّة وإلىٰ النَّار، وأمَّا العرش فلا يَبيدُ ولا يذهبُ؛ لأنَّهُ سَقْفُ الجنَّة، واللهُ سبحانه وتعالىٰ عَلَيْهِ، فلا يَهلك ولا يبيد»[3]. انتهىٰ كلامه.

وقال في رواية أبي العباسِ أحمد بن جعفر بن يعقوب الإصْطَخْرِي، ذكره أبو الحسين في كتاب «الطبقات» قال: «قال أبو عبد اللهِ أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلمِ، وأصحاب الأثرِ، وأهل السنَّة المتمسِّكين بعروتها».

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، (٤/ ١٧٨٨).

(٣) انظر: «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد (ص: ١٤٨).

وساق أقوالهم إلىٰ أنْ قال: «وقد خلقت الجنَّةُ وما فيها، وخلقت النَّار وما فيها، خلقهما اللهُ ﷻ، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان، ولا يفنىٰ ما فيهما أبدًا.

فإنْ احتج مبتدعٌ، أو زنديقٌ بقول اللهِ ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كلُّ شيءٍ ممَّا كتب اللهُ عليه الفناء والهلاك هالك، والجنَّة والنَّار خلقتا للبقاءِ لا للفناءِ ولا للهلاكِ، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْنَ عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا؛ لأنَّ اللهَ ﷻ خلقهنَّ للبقاءِ، لا للفناءِ، ولم يكتب عليهنَّ الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضلَّ عن سواء السبيل»(١).

وقال: في رواية عبدوس بن مالك العطَّار، وذكر رسالته في «السنَّة» قال فيها: «والجنَّة والنَّارُ مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**اطلعتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها كذا وكذا، واطَّلعتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثر أهلها كذا وكذا**»، فمن زعمَ أنَّهما لم تُخْلقا فهو مكذِّبٌ بالقرآنِ، وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبهُ يؤمن بالجنَّة والنَّار»(٢).

فتأمَّل هذه الأبواب وما تضمنته من النقولِ، والمباحث، والنُّكَت والفوائدِ التي لا يظفر بها في غير هذا الكتاب البتَّة.

ونحن اختصرنا الكلام في ذلك، ولو بسطناهُ لقام منه سفرٌ ضخمٌ، واللهُ المستعان، وعليه التكلان، وهو الموفِّقُ للصَّوابِ.

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ٢٤ - ٢٩).

(٢) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

١/ ١٠١

الباب التَّاسع

في ذكر عدد أبواب الجنَّة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾ [الزمر:٧٣]، وقال في صفة النَّار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧١] بغير واو.

فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنَّة، لكونها ثمانية، وأبواب النَّار سبعة فلم تدخل الواو.

وهذا قولٌ ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية، وإنَّما هذا من استنباط بعض المتأخرين.

وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة، والجواب: الفعل الَّذي بعدها، كما هو في الآية الثانية.

وهذا أيضًا ضعيف، فإنَّ زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليقُ بأفصح الكلام أنْ يكون فيه حرفٌ زائد بغير معنىً ولا فائدة.

وقالت طائفةٌ ثالثة: الجواب محذوف، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] عطف علىٰ قوله: ﴿جَآءُوهَا﴾.

هذا اختيار أبي عُبَيْدة والمُبَرِّد والزَّجاج وغيرهم[١].

قال المبرِّد: «وحذفُ الجواب أبلغ عند أهل العلم»[٢].

قال أبو الفتح بن جِنِّي: «وأصحابنا يَدفعون زيادة الواوِ ولا يُجِيْزونه، ويرون أنَّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٤)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٩٢).

(٢) انظر: «المقتضب» له (٢/ ٧٧ - ٧٨).

الجواب محذوفٌ للعلم به»(١).

وتأمَّل ما في سَوْقِ الفريقين إلىٰ الدَّارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم، وسَيْرهم معهم كل زمرة علىٰ حِدَة، مشتركين في عملٍ متصاحبين فيه علىٰ زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم علىٰ الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدَّار الأُخرىٰ يُسَاقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذَّىٰ بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهَتِيْكَة، من أن يساقوا واحدًا واحدًا، فلا تُهمِلْ تَدَبُّر قوله: ﴿زُمَرًا﴾.

وتأمَّل قول خزنة الجنَّة لأهلها: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا﴾: وقول خزنة النَّارِ لأهلها: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ تَجِدْ تَحْتهُ سرًّا لطيفًا ومعنًىٰ بديعًا لا يخفىٰ علىٰ المُتأمِّلِ، وهو: أنَّها لمَّا كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيءٍ، وأشد حرًّا، وأعظم غمًّا، يستقبل فيها الداخلُ من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغمّ والخزي والكرب بدخول الأبواب = قيل: ادخلوا أبوابها صَغَارًا لهم، وإذْلالًا وخزيًا، ثمَّ قيل لهم: لا يقتصر بكم علىٰ مجرَّد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النَّار.

وأمَّا الجنَّة فهي دار الكرامة، والمنزل الَّذي أعدَّه اللهُ لأوليائه، فبُشروا من أوَّل وَهْلَةٍ بالدخولِ إلىٰ المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمَّل قوله سبحانه: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴾ [ص:٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنىٰ بديعًا، وهو أنَّهم إذا دخلوا الجنَّة لم تغلق أبوابُها عليهم بل تبقىٰ مفتحة كما قال.

---

(١) انظر: «سِرّ صناعة الإعراب» له (٢/ ٦٤٦).

وأمَّا النَّارُ فإذا دخلها أهلها أُغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨] أي مطبقة مغلقة، ومنه سُمِّيَ الباب وصِيدًا وهي: ﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ قد جعلت العُمُد مُمْسكة للأبواب من خلفها، كالحجر العظيم الذي يُجْعل خلف الباب.

وأيضًا: فإنَّ في تفتيح الأبواب لهم إشارةً إلىٰ تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتَبؤهم من الجنَّة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتُّحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يَسُرُّهم عليهم كل وقت.

وأيضًا: إشارة إلىٰ أنَّها دارُ أمْنٍ لا يحتاجون فيها إلىٰ غَلْقِ الأبوابِ، كما كانوا يحتاجون إلىٰ ذلك في الدنيا.

وفي «الصحيحين»(١): من حديثِ سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**في الجنَّةِ ثمانيةُ أَبْوَابٍ، بابٌ منها يُسَمَّىٰ الرَّيَّانُ، لا يَدْخُلُهُ إلَّا الصَّائمون**».

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوجينِ من شيءٍ من الأشياء في سبيل اللهِ، دُعي من أبواب الجنَّة: يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصَّلاةِ دُعي من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهادِ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصَّدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان**»، فقال أبو بكر: بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسول الله، ما علىٰ من دُعي من تلك الأبواب من ضرورةٍ، فهل يُدعىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها، فقال: «**نعم، وأرجو أنْ تكون منهم**».

---

(١) البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

وفي «صحيح مسلم»[(١)]: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فَيُبلِغُ أو فَيُسْبِغُ الوضوءَ ثمَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ، إلَّا فُتِحَتْ لهُ أبوابُ الجنَّة الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء**».

زاد الترمذي بعد التشهد: «**اللَّهم اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين**»[(٢)].

١/ ١١٤

الباب العاشر

في ذكر سَعَةِ أبوابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**وُضِعتْ بين يدي رسول الله ﷺ قَصْعةٌ من ثريد ولحم، فتناول الذراع - وكان أحبَّ الشاة إليه- فَنَهَسَ نَهْسة وقال: أنا سيِّدُ النَّاسِ يوم القيامة**»، ثمَّ نهس أخرىٰ، وقال: «**أنا سيدُ النَّاس يوم القيامة**»، فلمَّا رأىٰ أصحابه لا يسألونه قال: «**ألا تقولون كيفَ؟**» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**يقوم النَّاسُ لربِّ العالمين فيُسْمعهم الدَّاعي ويَنْفُذُهم البصرُ**» فذكر حديث الشفاعة بطوله، وقال في آخره: «**فأنطلقُ فآتي تحت العرشِ، فأقع ساجدًا لربي، فيقيمني ربُّ العالمين مقامًا لم يقمه أحدًا قبلي، ولن يقيمه أحدًا بعدي، فأقول: يا ربِّ أمتي. فيقولُ: يا محمد أدخل من أمتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاءُ النَّاس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، والَّذي نفسُ محمدٍ بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع**

(١) رقم (٢٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥). وهذه الزيادة شاذَّةٌ.

الجنَّة لَكَمَا بين مكة وهَجَر، أو هَجَر ومكة»[١].

وفي لفظٍ: «**لَكَمَا بين مكة وهَجَر، أو كما بين مكة وبُصْرىٰ**».

متفق علىٰ صِحَّته[٢].

وفي لفظٍ خارج الصحيح بإسناده: «**إنَّ ما بين عِضَادتي**[٣] **الباب لَكَما بين مكة وهجر**»[٤].

وعن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، فإنَّ الدنيا قد آذنت بِصُرم، وولَّتْ حَذَّاء، ولم يبق منا إلَّا صبابة كصُبابة الإناء، يصطبُّها صاحبُها، وإنَّكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، ولقد ذكر لنا: «**أنَّ مصراعين من مصاريع الجنَّة بينهما مسيرةُ أربعين سنة، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظٌ من الزحام**»[٥].

فهذا موقوفٌ، والَّذي قبله مرفوع، فإنْ كان رسول الله ﷺ هو الذَّاكر لهم ذلك، كان هذا سَعَةُ ما بين بابٍ من أبوابها، ولعلَّه الباب الأعظم، وإنْ كان الذاكر لهم ذلك غير رسول الله ﷺ لم يُقدَّم علىٰ حديث أبي هريرة المتقدِّم، واللهُ أعلمُ.

---

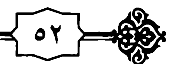
(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤) - (٣٢٨).

(٢) عند البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤) - (٣٢٧).

(٣) عِضَادتا الباب: هما خشبتان من جانبيه. انظر: «الصحاح»: (١/ ٤٣٢).

(٤) في صحيح مسلم (١٩٤) - (٣٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).



الباب الحادي عشر ١/ ١٢٠

في صفة أبوابها وأنَّها ذاتُ حلَق

روىٰ الوليد بن مسلم، عن خُلَيد، عن الحسن ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص:٥٠] قال: أبوابٌ تُرىٰ(١).

وفي حديث الشفاعة الطويل: من رواية ابن عُيَيْنة عن عليٍّ بن زيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فآخذ بحلقة باب الجنَّة فأُقَعْقِعُها**»(٢).

وهذا صريحٌ في أنَّها حلقة حِسِّية تُقَعْقَعُ وتُحَرَّك.

ولمَّا كانت الجِنَانُ درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنَّةَ العالية فوق باب الجنَّة التي تحتها، وكلَّما عَلَت الجنَّة اتَّسعت، فعاليها أوسعُ ممَّا دونه، وسَعَة الباب بحسب وسع الجنَّة.

ولهذه الأمة بابٌ مختص يدخلون منه دون سائر الأمم، كما في «المسند» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**بابُ أُمَّتي الَّذي يدخلون منه الجنَّة عرضه مسيرة الراكب ثلاثًا، ثمَّ إنَّهم لينْضغِطُون عليه حتَّىٰ تكاد مناكبهم تزول**»(٣).

الباب الثاني عشر ١/ ١٢٦

في ذكر مسافة ما بين البابِ والباب

روِّيْنَا في «معجم الطبراني»: عن عاصم بن لَقِيط، أنَّ لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ رسول الله ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله فما الجنَّة والنَّار؟ قال: «**لعمر إلهك، إنَّ**

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢)، وهو أثر ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وحسنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٨)، وضعفه.

للنَّار سبعة أبواب ما منهنَّ بابان إلَّا يسير الرَّاكبُ بينهما سبعين عامًا، وإنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلَّا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا» وذكر الحديث بطوله(١).

وهذا الظاهر منه أنَّ هذه المسافة بين الباب والباب؛ لأنَّ ما بين مكة وبُصْرَىٰ لا يحتمل التقدير بـ«سبعين عامًا» ولا يمكن حمله علىٰ بابٍ معيَّن، لقوله: «**ما منهنَّ بابان**»، واللهُ أعلم.

الباب الثالث عشر ١/ ١٢٨

في مكان الجنَّة وأين هي؟

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٥]. وقد ثبت أنَّ سِدرة المُنتهىٰ فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنَّهُ ينتهي إليها ما ينزل من عند اللهِ فيُقْبَضُ منها، وما يَصْعَدُ إليه فيقبضُ منها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: «هو الجنَّة»(٢).

وكذلك تلقَّاهُ النَّاسُ عنه.

وقد ذكر ابن المنذر في «تفسيره» وغيره أيضًا عن مجاهد قال: «هو الجنَّة والنَّار»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢١١ - ٢١٤) (٤٧٧)، وصححه ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٦).

(٣) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٣/ ٢٧٧).

وهذا يحتاج إلىٰ تفسير، فإنَّ النَّارَ في أسفل السافلين ليست في السماء، ومعنىٰ هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس: «الخيرُ والشر كلاهما يأتي من السماء»(١).

وعلىٰ هذا المعنىٰ أسباب الجنَّة والنَّار مُقدَّرٌ ثابتٌ في السماء من عند الله.

وعن بِشْر بن شَغَاف قال: سمعت عبد الله بن سلام يقول: «إنَّ أكرمَ خليقة الله أبو القاسم ﷺ، وإنَّ الجنَّة في السماء» رواه أبو نعيم عنه(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «الجنَّة في السماء السابعة، ويجعلها اللهُ حيث شاء يوم القيامة، وجهنَّم في الأرض السابعة»(٣).

وقد ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ الجنَّة مئة درجة ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرضِ»**(٤).

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّها في غاية العلوِّ والارتفاع، واللهُ أعلم.

والحديث له لفْظان هذا **أحدهما**.

والثاني: **«إنَّ في الجنَّة مئة درجة ما بين كلِّ درجتين كما بينَ السماء والأرضِ أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيله»**.

وشيخنا يرجح هذا اللفظ، وهو لا ينفي أنْ يكون دَرجَ الجنَّة أكثر من ذلك، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: **«إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، مَنْ أَحْصاها**

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٤).

(٢) في «صفة الجنة» (١٣١)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦١٢) (٨٦٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٢). وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) لم أقف عليه في الصحيح بهذا اللفظ.

دَخَلَ الجنَّة»[١].

أي من جملة أسمائه هذا العَدَد، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين.

ويدل علىٰ صحة هذا أنَّ منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كلِّه، في درجةٍ في الجنَّة ليس فوقها درجة، وتلك المئة ينالها آحاد أُمَّته بالجهاد، والجنَّة مُقَبَّبة أعلاها أوسعها، ووسطها: هو الفردوس، وسقفه العرش، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا سألتمُ الله فاسألوه الفِرْدَوس، فإنَّه وسَطُ الجنَّة وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنَّة**»[٢].

قال شيخنا أبو الحجاج المزِّي: «والصواب رواية من رواه «وفوقُه» بِضَمِّ القاف علىٰ أنَّه اسمٌ لا ظرف، أي: وسقفه عرش الرحمن».

الباب الرابع عشر ١/ ١٣٦

في مفتاح الجنَّة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**مفتاح الجنَّة شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ**»[٣].

رواه الإمام أحمد في «مسنده» ولفظه: «**مفاتيح الجنَّة شهادةُ أن لا إله إلَّا الله**»[٤].

وذكر البخاري في «صحيحه» عن وهب بن منبه أنَّه قيل له: أليس مفتاح الجنَّة

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٧)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٤٧٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٢)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦).

لا إله إلَّا الله؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس من مفتاح إلَّا وله أسنانٌ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلَّا لم يفتح[(١)].

وفي «المسند» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**أَلَا أدلُّكَ علىٰ بابٍ من أبواب الجنَّة**»؟ قلتُ: بلىٰ، قال: «**لَا حولَ ولا قوَّة إلَّا باللهِ**»[(٢)].

وقد جعل اللَّهُ سبحانه لكلِّ مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، كما قال ﷺ: «مفتاح الصلاةِ: الطُّهور»[(٣)]، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البِرِّ: الصدق، ومفتاح الجنَّة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية والمحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا اللَّه عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على اللَّهِ: إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحُبِّ والبغض والفعل والتَّرك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن، والتضرع بالأسحارِ، وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العِزِّ: طاعة اللَّهِ ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قِصَرُ الأملِ، ومفتاح كلِّ خيرٍ: الرغبة في اللَّهِ والدار الآخرة، ومفتاح كلِّ شرٍّ: حُب الدنيا، وطول الأمل.

وهذا بابٌ عظيم من أنفع أبواب العلمِ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا

(١) ذكره البخاري في كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلاَّ الله (١/ ٤١٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٢٨)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣)، وأبو داود (٦١)، وابن ماجه (٢٧٥)، وهو حديث ضعيف.

يُوَفَّق لمعرفته ومراعاته إلَّا من عَظُمَ حظه وتوفيقه، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ جعل لكلِّ خير وشرٍّ مفتاحًا وبابًا يُدْخَل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عمَّا بعث اللهُ به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه = مفتاحًا للنَّار، وكما جعل الخمر: مفتاح كلِّ إثمٍ، وجعل الغناء: مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصُّوَرِ: مفتاح الطلَب والعِشْق، وجعل الكسل والراحة: مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي: مفتاح الكفر، وجعل الكذب: مفتاح النِّفاق، وجعل الشح والحرص: مفتاح البخل وقطيعة الرحم، وأخذ المال من غير حِلِّهِ، وجعل الإعراض عمَّا جاء به الرسول ﷺ: مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدِّق بها إلَّا من له بصيرة صحيحة، وعقلٌ يعرف به ما في نفسه، وما في الوجود من الخير والشرِّ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح، وما جُعِلَت مفاتيح له، واللهُ من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمدُ، وله النعمة والفضل، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

الباب الخامس عشر ١/ ١٤١

في توقيع الجنَّة، ومنشورها الَّذي يُوَقَّعُ به لأصحابها بعد الموت، وعند دخولها

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:١٨-٢١].

فأخبر تعالىٰ أنَّ كتابهم كتابٌ مرقوم، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حَقِيقية، وخصَّ تعالىٰ كتاب الأبرار بأنَّه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقرَّبين من الملائكة والنَّبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار = تنويهًا بكتاب الأبرار،

وما وقع لهم به، وإشهارًا له، وإظهارًا بين خواصِّ خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادةً بذكره، وهذا نوعٌ من صلاة الله سبحانه وتعالىٰ، وملائكته علىٰ عبده.

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان، وأبو عوانة الإسفراييني في «صحيحيهما» من حديث البراء بن عازب ﵁ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ جنازةٍ، فجلس رسول الله ﷺ علىٰ القبرِ وجلسنا حوله كأنَّ علىٰ رؤوسنا الطير، وهو يُلْحَد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ قال: إنَّ المؤمن إذا كان في إقبالٍ من الآخرة وانقطاع من الدنيا؛ تنزلت إليه الملائكة كأنَّ علىٰ وجوههم الشمس مع كلِّ واحدٍ منهم كفن وحنوط[1]، فجلسوا منه مدَّ بصره، ثمَّ يجيء ملك الموت حتَّىٰ يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورضوان، قال: فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة مِنْ فِيِّ السِّقاءِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وُجِدَت علىٰ وجه الأرضِ، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها -يعني عَلىٰ ملأٍ من الملائكة- إلَّا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له فيُفتح لهم، ويُشَيِّعه من كلِّ سماءٍ مقربوها إلىٰ السماء التي تليها؛ حتىٰ ينتهي بها إلىٰ السماء التي فيها اللهُ ﷻ، فيقول اللهُ ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيين، وأعيدوه إلىٰ الأرضِ، فإنِّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرىٰ، قال: فتعادُ روحُه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربُّكَ؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان

---

(١) الحنوط: هو ما يُخْلط من الطيب لأكفان الموتىٰ وأجسامهم خاصَّة. «النهاية» (١/ ٤٥٠).

له: ما هذا الرجل الَّذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنت به وصدَّقت، قال: فينادي منادٍ من السمَّاء: أنْ صَدقَ عبدي فأفرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنَّة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بَصَرِهِ، قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسن الثياب طيبُ الريح، فيقولُ: أبشر بالَّذي يسرُّك هذا يومك الَّذي كنتَ تُوْعد، فيقول له: من أنتَ فوجهك الوجه الَّذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقولُ: ربِّ أقم السَّاعة، ربِّ أقم السَّاعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي.

ورواه أبو داود بطوله بنحوه، فهذا التوقيع، **والمنشور الأوَّل**.

فصل

١/ ١٤٥

منشور في دخول أهل الجنة إلى الجنة

وأمَّا المنشور الثاني: فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة أحدٌ إلَّا بجوازٍ: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله لفلان بن فلانٍ أَدْخلوهُ جنة عاليةً قطوفها دانية**»[1].

قلتُ: وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثمَّ كُتِبَ من أهل الجنَّة يوم نفخ الروح فيه، ثمَّ يُكتب في ديوان أهل الجنَّة يوم موته، ثمَّ يُعْطىٰ هذا المنشور يوم القيامة، فاللهُ المستعان.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٢) (٦١٩١)، وضعفه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٩٢٨) (١٥٤٧).

١/ ١٤٧

الباب السادس عشر

في توحُّد طريق الجنَّة وأنَّه ليس لها إلَّا طريق واحد

هذا ممَّا اتفقت عليه الرسل من أوَّلهم إلىٰ خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم. وأمَّا طرق الجحيم: فأكثر من أن تُحْصىٰ، ولهذا يُوحِّد الله سبحانه سبيله، ويجمع سبل النَّار كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]. وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ [النحل:٩]. أي: ومن السُّبُل جائر عن القصد وهي: سُبُل الغي، وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

وقال ابن مسعود: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، وقال: «**هذا سبيل اللهِ، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن يساره، ثمَّ قال: هذه سُبُلٌ علىٰ كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**» ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية [الأنعام:١٥٣](١).

فإنْ قيل: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٥-١٦] قيل: هي سُبُل تجتمع في سبيلٍ واحدٍ، وهي بمنزلة الجوادِّ(٢) والطرق في الطريق الأعظم، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، وهي شعبة، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابة داعي اللهِ بتصديق خبره، وطاعة أمره، فطريق الجنَّة هي إجابة الدَّاعي إليها ليس إلَّا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٦) و (٧).

(٢) الجوادُّ: جمع جادَّه وهو معظم الطريق، «الصحاح» (١/ ٣٨٩).

وروىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن جابر ﷺ قال: «**جاءت ملائكة إلىٰ النَّبي ﷺ، فقال بعضهم: إنَّه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلبُ يقظان، فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلًا، فاضربوا له مثلًا فقالوا: مثله مثل رجلٍ بنىٰ دارًا وجعل فيها مأدُبةً وبعث داعيًا، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدَّار وأكلَ من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أَوِّلُوها له يفْقهْهَا فقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان، فالدَّارُ: الجنَّة، والدَّاعي: محمدٌ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصىٰ محمدًا فقد عصىٰ الله، ومحمد فَرْقٌ بين النَّاس**».

الباب السابع عشر ١/ ١٥٢

في درجات الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

ذكر ابن جرير: عن ابن مُحَيرِيْز قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء:٩٥-٩٦]. قال: «هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عَدْوُ الفرسِ الجواد المُضَمَّر سبعين عامًا»[2].

وقال ابن المبارك: عن الضَّحَّاك في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣٢)، وسنده صحيح.

[الأنفال:٤] قال: «بعضهم أفضلُ من بعض، فيرىٰ الَّذي قد فضل به فضله، ولا يرىٰ الَّذي هو أسفل منه، أنَّه فُضِّلَ عليه أحدٌ من النَّاس»(١).

وتأمَّل قوله: كيف أوقع التَّفْضيل أوَّلًا بدرجة، ثمَّ أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل: الأوَّل بين القاعد والمعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة لَيتراءون أهلَ الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُّرِّي الغابرَ من الأُفق: من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلىٰ، والَّذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلين**».

ولفظ البخاري «**في الأفق**»: وهو أبْيَن.

والغابر: هو الذَّاهب الماضي الَّذي قد تدلَّىٰ للغروب.

وفي «الصحيحين»(٣) أيضًا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤٦)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٨٣)، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٢٨٣٠).

قال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون الغرفة في الجنَّة، كما تراءون الكوكب في أفقِ السماء**».

وفي «المسند» من حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المتحابين لتُرىٰ غرفُهم في الجنَّة كالكوكب الطالع الشرقيِّ أو الغربيِّ، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابُّون في اللهِ ﷻ**»[1].

وفي «المسند» عنه أيضًا عن النَّبي ﷺ قال: «**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنَّة: اقرأ واصعدْ، فيقرأ ويصعد بكلِّ آيةٍ درجة، حتَّىٰ يقرأ آخر شيءٍ معهُ**»[2].

وهذا صريحٌ في أنَّ درج الجنَّة تزيد علىٰ مائة درجة.

وأمَّا حديث أبي هريرة ﷺ الَّذي رواه البخاري في صحيحه[3] عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيله بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرضِ، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوس، فإنَّه وسط الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنَّة**».

فإمَّا أن تكون هذه المائة درجة من جملة الدَرَج، وإمَّا أنْ تكون نهايتها هذه المائة، وفي ضمن كل درجة درج دونها.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٧٨)، وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، وصححه الترمذي وابن حبان (٣/ ٧٦٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٥٥) وهو تتمة حديث أبي هريرة ﷺ.

١/ ١٦٠

الباب الثامن عشر

في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في «صحيحه»[١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنَّه سمع النَّبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتُم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ، فإنَّه من صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ اللهُ عليه بها عشرًا، ثمَّ سلُوا اللهَ لي الوسيلة، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّة لا تنبغي إلَّا لعبدٍ من عباد اللهِ، وأرجو أنْ أكون أنا هو، فمن سأل ليَ الوسيلة حلَّتْ عليه الشفاعة»**.

و عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم عليَّ فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: أعلىٰ درجةٍ في الجنَّة لا ينالها إلَّا رجلٌ واحدٌ، وأرجوا أنْ أكونَ أنا هو»**[٢].

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حينَ يسمع النَّداء: اللَّهم رَبَّ هذِهِ الدعوة التَّامَّة، والصَّلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»**.

وسُمِّيت درجة النَّبي ﷺ الوسيلة؛ لأنَّها أقرب الدرجات إلىٰ عرش الرب تبارك وتعالىٰ، وهي أقرب الدرجات إلىٰ اللهِ.

وأصل اشتقاق لفظ: «الوسيلة» من القُرْب. وهي فَعِيلَة: مِنْ وَسَلَ إليه: إذا تقرَّب إليه.

---

(١) رقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٢)، وضعفه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩) و (٤٤٤٢)، ولم يخرجه مسلم في صحيحه.

قال لَبِيْد:

بلىٰ كلُّ ذي رأيٍ إلىٰ اللهِ واسلُ(١)

ومعنىٰ الوسيلة: من الوُصْلَة، ولهذا كانت أفضل الجنَّة وأشرفها، وأعظمها نورًا.

وقد كشف سبحانه عن هذا المعنىٰ كلَّ الكشف بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧] فقوله: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾، هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الَّذين يدعونهم المشركون من دون اللهِ، فَيُنَافِسُون في القرب منه.

ولمَّا كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبوديةً لربه، وأعلمهم به، وأشدَّهم له خشية، وأعظمهم له محبة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلىٰ اللهِ، وهي أعلىٰ درجة في الجنَّة، وأمرَ ﷺ أُمَّتَهُ أنْ يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفىٰ من اللهِ، وزيادة الإيمان.

الباب التاسع عشر ١/ ١٦٧

في عرض الرَّبِّ تعالى سلعته الجنَّة على عباده وثمنها الَّذي طلبه منهم وعقد التبايع الَّذي وقع بين المؤمنين وبين ربِّهم

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١].

---

(١) «ديوان لبيد» (ص: ٢٥٦).

فجعل سبحانه الجنَّة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقُّوا الثَّمن، وعَقَدَ معهم هذا العقدَ، وأكَّدهُ بأنواع التأكيد.

ثمَّ ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقع العقد وتمَّ لهم دون غيرهم، وهم:

- ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ مما يكره.

- ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ له بما يحب.

- ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ له علىٰ ما يحبون وما يكرهون.

- ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ وفُسِّرت السِّياحة: بالصيام، وفُسِّرت: بالسفر في طلب العلم، وفُسِّرت: بالجهاد، وفُسِّرت: بدوام الطاعة.

والتحقيق فيها: أنَّها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلىٰ لقائه، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعالِ.

وأفهمت الآية: خطر النفس الإنسانية وشرفها، وعظم مقدارها، فإنَّ السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع، فالسِّلعة: النفس، واللهُ سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنَّات النعيم، والسَّفِيْر في هذا العقد: خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه، وخيرهم من البشرِ وأكرمهم عليه.

قد هيؤوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له ... فاربأْ بِنفسِكَ أَنْ تَرْعَىٰ مَعَ الهَمَلِ [(١)]

وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من

---

(١) البيت للطغرائي في «لامية العجم». انظر: «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» للصفدي (٢/ ٤٣٨).

خافَ أدلج، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ، ألَا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ، ألَا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّة»[١].

قال: «هذا حديثٌ حسن غريب».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ﷺ: أنَّ أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملته دخلتُ الجنَّة، فقال: «**تعبد الله لا تشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصومُ رمضان**» قال: والَّذي نفسي بيده لا أزيدُ علىٰ هذا شيئًا أبدًا ولا أنقصُ منه، فلمَّا ولَّىٰ قال: «**من سرَّهُ أنْ ينظرَ إلىٰ رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلىٰ هذا**».

وفي «الصحيحين»[٣] عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آتٍ من ربي فأخبرني -أو قال- فبشرني أنَّه من ماتَ من أمتك لا يشرك باللهِ شيئًا دخل الجنَّة، قلتُ: وإن زنىٰ وإنْ سرق؟ قال: وإنْ زنىٰ وإن سرق**».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسوله، وأنَّ عيسىٰ عبدُ اللهِ ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النَّار حقٌّ، أدخلهُ اللهُ من أيِّ أبواب الجنَّة الثمانية شاء**».

وفي لفظٍ: «**أدخله اللهُ الجنَّة علىٰ ما كان من عمل**».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، وحسنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٣)، ومسلم (١٤).

(٣) البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٩٤).

(٤) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨).

١/ ١٧٦

فصل

الأعمال سبب في دخول الجنة

وها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه وهو: **أنَّ الجنَّة إنما تُدْخَلُ برحمة الله، وليس عمل العبد مستقلًّا بدخولها وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله:** ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨]، **ونفى رسول الله ﷺ دخلوها بالأعمال في قوله: «لنْ يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعملهِ»**[١].

ولا تنافي بين الأمرين؛ **لأن الباء التي نَفَتِ الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العِوَضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السَّببية التي تقتضي سَبَبِيَّة ما دخلت عليه لغيره، وإنْ لم يكن مستقلًّا بحصوله، وقد جمع النَّبي ﷺ بين الأمرين في قوله: «سدِّدوا وقاربوا وابشروا، واعلموا أنَّ أحدًا منكم لن ينجوَ بعمله. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا إلَّا أنْ يتغمدني الله برحمته»**[٢].

ومن عرف الله سبحانه، وشَهِدَ مَشْهد حقِّه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، والله سبحانه وتعالى المستعان.

١/ ١٧٩

الباب العشرون

في طلب أهل الجنَّة لها من ربِّهم، وطلبها لهم، وشفاعتها فيهم إلى ربها ﷻ

قال تعالى حكايةً عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا

(١) أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٤/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤].

والمعنىٰ: وآتنا ما وعدتنا علىٰ ألسنةِ رُسُلِكَ من دخول الجنَّة.

وقد أشكلَ علىٰ بعض النَّاس سؤالهم أن ينجز لهم وعده، مع أنَّه فاعل لذلك ولا بُدَّ.

وخفيَ علىٰ هؤلاء أنَّ الوعد معلَّقٌ بشروطٍ منها:

- الرغبة إليه سبحانه وسؤاله أنْ ينجزه لهم.

- كما أنَّه مُعَلَّقٌ بالإيمان وموافاتهم به.

- وأنْ لا يلحقه ما يحبطه.

فإذا سألوه سبحانه أنْ ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم علىٰ الأسباب التي ينجز لهم بها وعده، وكان هذا الدعاءُ من أهمِّ الأدعية وأنفعها، وهم أحوجُ إليه من كثير من الأدعية.

ونظيرُ هذه الآية في سؤاله ما وعد به قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدًا مَّسۡـُٔولًا﴾ [الفرقان:١٥-١٦]، يسألهُ إيَّاهُ عباده المؤمنون، ويسأله إيَّاهُ ملائكته لهم، فالجنَّةُ تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إيَّاها، والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إيَّاها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يُقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سُئِلَ = ما هو من لوازم أسمائه وصفاته، واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالربُّ تعالىٰ جوادٌ له

الجُوْد كله، يحب أنْ يُسْأَل ويُطْلَبُ منه ويُرْغبُ إليه، فَخَلَقَ مَنْ يسأله وألْهَمه سؤاله، وخلق له ما يسأله إيَّاهُ، فهو خالق السائل وسؤاله ومَسْؤوله، وذلك لمحبته لسؤال عباده له، ورغبتهم إليه، وطلبهم منه، وهو يغضبُ إذا لم يُسْأل.

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالًا، وهو يُحب المُلِحِّين في الدعاء، وكلَّما ألحَّ العبد عليه في السؤال أحبَّهُ وأعطاهُ.

وفي الحديث: «**مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه**»[1].

قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمٍ يسألُ اللهَ الجنَّة ثلاثًا إلَّا قالت الجنَّةُ: اللَّهم أدخلهُ الجنَّة، ومن استجارَ باللهِ من النَّار ثلاثًا قالت النَّارُ: اللهم أجِرْهُ من النَّار**»[2].

وقد روىٰ أبو داود في «سننه» من حديث جابر في قصة معاذ وتطويله بهم، أنَّ النَّبي ﷺ قال لفتىٰ -يعني الَّذي شكاه- «كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ؟ قال: أقرأُ بفاتحة الكتاب وأسألُ اللهَ الجنَّة وأعوذُ به من النَّار، وإنِّي لا أدري ما دندنتُكَ ودندنة[3] معاذ؟ فقال النَّبي ﷺ: إنِّي ومعاذًا حولها ندندن»[4].

وفي «سنن أبي داود» من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧)، وهو حديثٌ ضعيفٌ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٦٧) وابن ماجه (٤٣٤٠) والنسائي (٥٥٢١)، وصححه ابن حبان (٣/ ١٠١٤).

(٣) الدَّنْدنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يُفْهَمُ، وهو أرفع من الهيْمَنَة قليلًا. انظر: «النهاية» (٢/ ١٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٧٩٣)، وصححه ابن خزيمة (١٦٣٤).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلَّا الجنَّة**»(١).

وعن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: «**ما من يومٍ إلَّا والجنَّة والنَّار تسألانِ، تقول الجنَّة: يا ربِّ قد طابت ثماري، واطَّردت أنهاري، واشتقت إلىٰ أوليائي، فعجِّل إليَّ بأهلي**» الحديث(٢).

فالجنَّة تطلب أهلها بالذَّات، وتجذبهم إليها جذبًا، والنَّار كذلك، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أنْ لا نزال نذكرهما ولا ننساهما.

الباب الحادي والعشرون ١/ ١٩١

في أسماء الجنَّة ومعانيها واشتقاقها

ولها عِدَّةُ أسماءٍ باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذَّات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النَّار.

الاسم الأوَّل: الجنَّة:

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النَّعيم واللَّذة والبهجة والسرور وقرَّة الأعين.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من السِّتر والتغطية. ومنه الجنين: لاستتاره في البطن، والجان: لاستتاره عن العيون، والمِجَن: لستره، ووقايته الوجه، والمجنون: لاستتار عقله وتواريه عنه، والجانّ: وهي الحية الصغيرة الدقيقة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وضعفه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١٩٢)، وهو حديثٌ ضعيفٌ.

ومنه سمِّي البستان جَنَّة؛ لأنَّه يستر داخله بالأشجار ويغطِّيه، فلا يستحق هذا الاسم إلَّا موضع كثير الشَّجَر مختلف الأنواع، والجُنَّة -بالضَّمِّ- ما يُسْتَجَنُّ به من تُرْسٍ أو غيره.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦] أي: يَتَتَرَّسُونَ بها من إنكار المؤمنين عليهم.

ومنه الجِنَّة: -بالكسر- وهو الجِنُّ، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦].

الاسم الثاني: دارُ السَّلام:

وقد سمَّاها اللهُ تعالىٰ بهذا الاسم في قوله: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الأنعام:١٢٧]، وقوله ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، وهي أحقُّ بهذا الاسم، فإنَّها دار السلامة من كلِّ بليةٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهي دار اللهِ، واسمه سبحانه وتعالىٰ السَّلام الَّذي سلَّمها، وسلَّم أهلها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾ [يونس:١٠]، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]، والرب تعالىٰ يسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس:٥٧-٥٨].

الاسم الثالث: دار الخلد.

وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّ أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد:٣٥] وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

الاسم الرَّابع: دار المُقامة.

قال تعالىٰ: حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٤-٣٥].

قال مُقَاتِل: «أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا»(١).

الاسم الخامس: جنَّة المأوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٥] والمأوىٰ: مَفْعَل من أوىٰ يأوي، إذا انضمَّ إلىٰ المكان، وصار إليه واستقرَّ به.

وقال عطاء عن ابن عباس: «هي الجنَّة التي يأوي إليها جبريل والملائكة»(٢).

وقال مقاتل والكلبي: «هي جنَّة تأوي إليها أرواح الشهداء»(٣).

والصحيح أنَّه اسمٌ من أسماء الجنَّة كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، وقال في النَّار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩] وقال: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت:٢٥].

الاسم السادس: جنَّات عدن.

فقيل: هو اسم لجنَّةٍ من جملة الجنَّات، والصحيح أنَّه اسمٌ لِجُملة الجنَّات، فكلها جنَّات عدن، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ(٤)

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٨).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٨).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٩٠)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ١٩٨).

(٤) هكذا بالخفض، وهي قراءة سبعِيَّة، انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٤٤).

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢]. والاشتقاق يدلُّ علىٰ أنَّ جميعها جنَّاتُ عدنٍ، فإنَّه من الإقامة والدَّوامِ. يقال: عَدَن بالمكان: إذا أقام به.

الاسم السَّابع: دار الحيوان.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] والمراد: الجنَّة عند أهل التفسير، قالوا: وإنَّ الآخرة يعني: الجنة. لهي الحيوان: لهي دار الحياة التي لا موت فيها.

وقال الكلبي: «هي حياة لا موت فيها». وقال الزجاج: «هي دار الحياة الدائمة»[1].

وأهل اللغة علىٰ أنَّ الحيوان بمعنىٰ: الحياة.

الاسم الثامن: الفردوس.

قال الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

والفردوس: اسم يُقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنَّه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات.

وأصل الفردوس: البستان، والفراديس: البساتين. قال كعب: «هو البستان الَّذي فيه الأعناب»[2]. وقال الضحاك: «هي الجنَّة الملتفة بالأشجار»[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦)، وسنده ضعيف.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» معالم التنزيل (٥/ ٢١١).

وقال مجاهد: «هو البستان بالرومية»(١). واختاره الزجاج، فقال: هو بالرومية منقول إلىٰ لفظ العربية. قال: وحقيقته أنَّه البستان الَّذي يجمع كل ما يكون في البساتين(٢).

الاسم التاسع: جنات النعيم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨]، وهذا أيضًا اسمٌ جامعٌ لجميع الجنَّات، لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور، والرَّائحة الطَّيِّبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النَّعيم الظاهر والباطن.

الاسم العاشر: المقام الأمين.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١]، فالمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كلِّ سوءٍ ومكروهٍ، وهو الَّذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزَّوال والخراب، وأنواع النُّغص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنَّقص والنَّكد.

الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مَقْعَدُ الصدق، وقَدَمُ الصدق.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥]، فسمَّىٰ الجنَّة مقعد صِدْقٍ، لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال: مودَّة صادقة: إذا كانت ثابتة تامَّة، وحلاوة صادقة، ومنه الكلام الصَّدق، لحصول مقصوده منه.

وموضوع هذه اللفظة في كلامهم: الصِّحة والكمال، ومنه الصَّدق في الحديث، والصدق في العمل، ومنه الصَّداقة؛ لصفاء المودَّة والمُخالَّة، ومنه صَدَقَنِي القتال،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦)، وسنده صحيح.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣١٥).

وصَدَقَنِي المودَّة، ومنه قدم الصِّدْق، ولسان الصَّدق، ومدخل الصدق، ومخرج الصَّدق، وذلك كله للحقَّ الثابت المقصود الَّذي يرغب فيه.

١/ ٢٠٦

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنَّات، وأنَّها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة

الجنَّة: اسمٌ شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدًّا، كما روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن أنس بن مالك ﵁: أنَّ أم الربيع بنت البراء -وهي أم حارثة بن سراقة- أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدِّثني عن حارثة؟ -وكان قُتِل يوم بدرٍ أصابه سهمُ غَرْبٍ-، فإنْ كان في الجنَّة صبرتُ، وإنْ كان غيرَ ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أمَّ حارثة، إنَّها جنان في الجنَّة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلىٰ**».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهبٍ آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أنْ ينظروا إلىٰ ربِّهم إلَّا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنَّة عدنٍ**».

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] فذكرهما ثمَّ قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] فهذه أربع. وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾

---

(١) رقم (٢٦٥٤).

(٢) البخاري (٤٥٩٧)، ومسلم (١٨٠).

هل المراد به أنَّهما فوقهما، أو تحتهما علىٰ قولين:

فقالت طائفة: من دونهما أي: أقرب منهما إلىٰ العرش، فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنىٰ من دونهما: تحتهما.

قالوا: وهذا المنقول في لُغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا، أي دونه في المنزلة.

والسِّياق يدلُّ علىٰ تفضيل الجنتين الأولتين من عشرة أوجه.

فإنْ قيل: فكيف انقسمت هذه الجِنَان الأربع علىٰ من خاف مقام ربه؟

قيل: لمَّا كان الخائفون نوعين، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما.

فإنْ قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما، أم لكلِّ واحد جنتان وهما البستانان؟

قيل: هذا فيه قولان للمفسرين، ورُجِّح القول الثاني بوجهين: **أحدهما**: من جهة النقل. **والثاني**: من جهة المعنىٰ.

فأمَّا الَّذي من جهة النقل، فإنَّ أصحاب هذا القول رَووا عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**هما بستانان في رياض الجنَّة**»(١).

وأمَّا الَّذي من جهة المعنىٰ فإنَّ إحدىٰ الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية جزاء اجتناب المحارم.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩) بدون سند.

١/ ٢١٢

الباب الثالث والعشرون

في خلق الرَّبِّ تبارك وتعالى بعض الجِنَان بيده وغرسها بيده تفضيلًا لها على سائر الجنَّات

وقد اتخذ الرب تعالىٰ من الجنَّات دارًا اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، واللهُ سبحانه يختار من كلِّ نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة: جبريل، ومن البشر: محمدًا ﷺ، ومن السماوات: العُليا، ومن البلاد: مكة، ومن الأشهر: الحُرُم، ومن الليالي: ليلة القَدْر، ومن الأيام: يوم الجمعة، ومن الليل: وسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلوات، إلىٰ غير ذلك، فهو سبحانه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله بَنَىٰ الفردوس بيده، وحَظَرَهَا علىٰ كلِّ مشركٍ، وكلِّ مدمنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ**»[١].

وعن أنس عن كعب قال: «**لم يخلق اللهُ بيده غير ثلاث: خلقَ آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنَّة عدْنٍ بيده. ثمَّ قال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]**»[٢].

وقد روىٰ مسلم في «صحيحه»[٣] عن المغيرة بن شعبة عن النَّبي ﷺ قال: «**سأَلَ موسىٰ ربه: ما أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً؟ قال: رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنَّة الجنَّة، فيقال له: أدخلِ الجنة، فيقول: ربِّ كيف وقد نزل النَّاس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟**

(١) أخرجه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٥١)، وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الدارمي في «النقض علىٰ بشر المريسي» (٤٦)، والآجري في «الشريعة» (٧٥٩).

(٣) رقم (١٨٩).

فيقول: رضيت ربِّ، فيقول له: لك ذلك ومِثْلُه ومِثْله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلةً، قال: أولئك الَّذين أردت، غرست كرامتهم بيديَّ، وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ ولم تسمع أُذُنٌ، ولم يخطر على قلب بشر»، ومصداقه من كتاب اللهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

الباب الرَّابع والعشرون ١/ ٢٢١

في ذكر بوَّابيْ الجنَّة وخزنتها، واسم مُقدَّمهم ورئيسهم

قال تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

والخَزَنَة: جمع خازن، مثل حَفَظَة وحَافِظ، وهو المُؤْتَمَن علىٰ الشيء الَّذي قد استحفظه.

وروىٰ مسلمٌ في «صحيحه»[(١)] من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي بابَ الجنَّة يومَ القيامة فأستفتح، فيقول الخازنُ: من أنتَ؟ فأقول محمدٌ، فيقول: بك أمرتُ أنْ لا أفتح لأحدٍ قبلَكَ»**.

وقد تقدَّم حديث أبي هريرة المتفق عليه[(٢)]: **«من أنفق زوجين في سبيل الله دعاهُ خزنةُ الجنَّة كلُّ خزنة باب: أي فُلُ هلُمَّ»**. قال أبو بكر: يا رسول الله، ذاك الذي لا تَوَىٰ عليه، فقال النَّبي ﷺ: **«إنِّي لأرجو أنْ تكون منهم»**.

وفي لفظٍ: هل يدعىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: **«نعم، وأرجو أنْ تكون منهم»**.

لمَّا سَمَتْ هِمَّة الصِّدِّيق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أنْ يُدْعَى من

---

(١) رقم (١٩٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٤٩).

تلك الأبواب كلَّها، فسأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من النَّاس، ليسعى في العمل الَّذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشَّره بأنَّه من أهله، فكأنَّهُ قال: هل يكمل أحد هذه المراتب فيُدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟

فلِلَّهِ ما أعلى هذه الهمَّة، وأكبر هذه النَّفس.

وقد سمَّىٰ اللهُ سبحانه وتعالىٰ كبير الخزنة رِضْوان[1]. وهو اسمٌ مشتقٌّ من الرِّضا، وسمَّىٰ خازن النَّارِ مالكًا[2]، وهو اسمٌ مشتقٌّ من الملك، وهو القوَّة والشِّدَّة حيث تَصَرَّفت حُرُوفُه.

١/ ٢٢٣

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أوَّل من يقرع باب الجنَّة

قد تقدم في حديث أنس[3]، ورواه الطبراني بزيادة فيه قال: «**فيقومُ الخازنُ، فيقولُ: لا أفتحُ لأحدٍ قبلَك، ولا أقومُ لأحدٍ بعدك**»[4].

وذلك أنَّ قيامه إليه ﷺ خاصة إظهار لمزِيَّته ومرتبته، ولا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنَّة يقومون في خدمته، وهو كالملك عليهم، وقد أقامه اللهُ في خدمة عبده ورسوله حتىٰ مشىٰ إليه وفتح له الباب.

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر النَّاس تبعًا يوم القيامة، وأنا أوَّل من يقرع بابَ الجنَّة**».

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٩٣ - ٢٩٦) (٣٤٢١). وسنده ضعيفٌ جدًّا.

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

(٣) (ص: ٤٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٣)، وسنده ضعيف.

(٥) رقم (١٩٦) - (٣٣١).

الباب السادس والعشرون ١/ ٢٢٧

في ذكر أوَّل الأمم دخولًا الجنَّة

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ السَّابقون الأوَّلون يوم القيامة، بَيْدَ أنَّهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**».

أي: لم يسبقونا إلَّا بهذا القدر، فمعنىٰ: «بَيْدَ» معنىٰ سِوَىٰ وغير وإلَّا أنَّ، ونحوها.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**نحنُ الآخرون الأوَّلون يومَ القيامة، نحنُ أوَّلُ النَّاسِ دخولًا الجنَّة، بيدَ أنَّهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**».

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرضِ وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكان في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنَّة، فالجنَّة محرمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمته.

الباب السابع والعشرون ١/ ٢٣١

في ذكر السَّابقين من هذه الأمة إلى الجنَّة وصفتهم

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوَّل زُمرةٍ يدخلون الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلةَ البدرِ، والَّذين يلونهم علىٰ ضوءِ أشدِّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٠)، ومسلم (٨٥٥) - (٢١).

(٢) البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٨٤٩).

(٣) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (٢٨٣٤) - (١٥).

كوكبٍ دُريٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفُلون ولا يَمْتخِطون، أمشاطهم الذهبُ ورشحهم المسكُ، ومجامرهم الأُلُوَّةُ، وأزواجهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم علىٰ خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السَّماءِ».

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوَّل من يُدعىٰ إلىٰ الجنَّة يومَ القيامة الحمَّادون الَّذين يحمدون اللهَ في السَّرَّاء والضَّراء**»(١).

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده» والطبراني في «معجمه» واللفظ له من حديث أبي عُشَّانة المعافري أنَّه سمع عبد الله بن عمرو ﵄: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون أوَّل من يدخل الجنَّة؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلمُ، قال: فقراء المُهاجرين الَّذين تُتَّقىٰ بهم المكاره، ويموتُ أحدهم وحاجته في صَدْرِهِ لا يستطيع لها قضاءً، تقول الملائكة: ربَّنا نحنُ ملائكتك وخزنتك وسُكَّان سماواتك لا تدخلهم، الجنَّة قبلنا، فيقول: عبادي لا يُشْركون بي شيئًا، تُتَّقىٰ بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاءً**»(٢).

ولمَّا ذكر اللهُ تعالىٰ أصناف بني آدم سَعيدهم وشقيهم، قسم سُعَداءهم إلىٰ قسمين: سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠].

واختلف في تقديرها علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه من باب التَّوكيد الَّلفظي، ويكون خبره قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١١].

والثاني: أنْ يكون السَّابقون الأوَّل مبتدأ، والثاني خَبَرًا له علىٰ حدِّ قولك: زيد

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، والبزار في «مسنده» (١١/ ٢٤٧) (٥٠٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» «الجزء المفقود» (١٥١)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤٢١).

زيد، أي زيد الَّذي سمعت به هو زيد.

والثالث: أنْ يكون السَّبقُ الأوَّل غيرَ الثاني، ويكون المعنىٰ: السابقون في الدنيا إلىٰ الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلىٰ الجنَّات، والسابقون إلىٰ الإيمان هم السابقون إلىٰ الجنان.

وهذا أظهر، واللهُ أعلم.

الباب الثامن والعشرون ١/ ٢٣٧

في سبق الفقراء للأغنياء إلى الجنَّة

عن جابر بن عبد الله عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**يدخلُ فقراءُ أُمَّتي الجنَّة قبلَ الأغنياء بأربعين خريفًا**»(١).

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يومَ القيامة بأربعين خريفًا**».

ولكن ها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، وهو أنَّه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة؛ وإن سَبَقَهُ غيره في الدخول، والدليل علىٰ هذا أنَّ من الأمة من يدخل الجنَّة بغير حساب، وهم السَّبعون ألفًا(٣)، وقد يكون بعض من يُحَاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب علىٰ غِنَاهُ، فوجد قد شكر الله تعالىٰ فيه، وتقرَّب إليه بأنواع البِرِّ والخير والصَّدقة والمعروف، كان

(١) أخرجه الترمذي (٤٣٥٥)، وحسنه.

(٢) رقم (٢٩٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢٢٠).

أعلىٰ درجة من الفقير الَّذي سبقه في الدخول، ولم تكن له تلك الأعمال، ولا سيِّما إذا شاركه الغني في أعماله هو وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجرَ من أحسن عملًا.

فالمزيَّة مزيَّتان؛ مزية سبق، ومزية رِفْعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرِّفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرِّفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المتقضي للأمرين، أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق.

١/ ٢٤٢

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أصناف أهل الجنَّة الَّذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾

[الأنفال: ٢-٤].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول اللهِ ﷺ أمرَ بلالًا أنْ ينادِيَ في النَّاسِ: «**إنَّه لا يدخلُ الجنَّة إلَّا نفسٌ مسلمةٌ**»، وفي بعض طرقه «**مؤمنة**»[٢] وفي الحديث قصة.

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث عِيَاض بن حِمَار المجاشعي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أهل الجنَّة ثلاثةٌ: ذو سلطان مقسطٌ متصدقٌ موفق ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قربىٰ ومسلم، وعفيفٌ متعفف ذو عيال**».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنَّة، كلُّ ضعيف متضعَّفٍ لو أقسم علىٰ اللهِ لأبرَّهُ، ألا أخبركم بأهل النَّار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُتكبر**».

وفي «الصحيحين»[٥] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأُثنِيَ عليها خيرٌ، فقال نبي الله ﷺ «**وجبتْ وجبتْ وجبتْ**»، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرٌّ فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت وجبتْ وجبتْ**»، فقال عمر رضي الله عنه: فداك أبي وأمي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرٌ فقلتَ: وجبت وجبت وجبت: ومُرَّ بجنازةٍ فأثني عليها شرٌّ، فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبتْ له الجنَّة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النَّارُ، أنتم شهداء اللهِ في الأرضِ، أنتم شهداء اللهِ في الأرضِ**».

وبالجملة فأهل الجنَّة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالىٰ في قوله:

---

(١) البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (١١١).

(٢) هو عند البخاري (٣٩٦٧، ٦٢٣٢) بلفظ: «إلاَّ مؤمن».

(٣) رقم (٢٨٦٥).

(٤) البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٥) البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٩٤٩).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

فنسأل الله أنْ يجعلنا معهم بمنِّه وكرمه.

١/ ٢٥١

الباب الثلاثون

في أنَّ أكثر أهل الجنَّة هم أُمَّة محمد ﷺ

في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أنْ تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنَّة؟ فكبرنا، ثمَّ قال: أما ترضون أنْ تكونوا ثلثَ أهل الجنَّة؟ فكبرنا، ثمَّ قال: إنِّي لأرجو أنْ تكونوا شطرَ أهلِ الجنَّة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلَّا كشعرةٍ بيضاءَ في ثورٍ أسودَ، أو كشعرةٍ سوداء في ثورٍ أبيض**» هذا لفظ مسلم[(١)].

وعند البخاري[(٢)]: «وكشعرةٍ سوداء» بغير ألف.

وعن بُرَيدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنَّة عشرون ومئة صفٍ، هذه الأمة منها ثمانون صفًّا**»[(٣)].

رواه الإمام أحمد والترمذي، وإسناده على شرط الصحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:٣٩-٤٠]، قال رسول الله ﷺ: «**أنتم رُبُعُ أهل الجنَّة، أنتم ثلث أهل الجنَّة، أنتم**

---

(١) في صحيحه (٢٢١).

(٢) رقم (٦١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وصححه ابن حبان (٧٤٥٩).

نصفُ أهل الجنَّة. أنتم ثلثا أهل الجنَّة»(١).

وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها وصح سند بعضها، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر؛ لأنَّه ﷺ رجا أوَّلًا أنْ يكونوا شطر أهل الجنَّة، فأعطاهُ اللهُ سبحانه رجاءه، وزاده عليه شيئًا آخر.

الباب الحادي والثلاثون ١/ ٢٥٦

في أنَّ النساء في الجنَّة أكثر من الرجال وكذلك هم في النَّار

ثبت في «الصحيحين»(٢) من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: إمَّا تفاخروا، وإمَّا تذاكروا: الرجال أكثر في الجنَّة أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: ألم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إنَّ أوَّل زُمرةٍ تدخل الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ، والتي تليها علىٰ أضواٍ كوكبٍ دريٍّ في السماء، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِما من وراء اللحم، وما في الجنَّة عَزَبٌ**».

فإنْ كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإنْ كُنَّ من الحور العين لم يلزم أنْ يكُنَّ في الدنيا أكثر، والظاهر أنَّهنَّ من الحور العين؛ لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**للرَّجل من أهل الجنَّة زوجتان من الحور العين، علىٰ كلِّ واحدةٍ سبعون حُلَّة يرىٰ مخ ساقها من وراء الثياب**»(٣).

وأمَّا كونهنَّ أكثر أهل النَّارِ، فلما روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اطَّلعتُ في النَّارِ فرأيتُ**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٠١)، والحديث ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٥). وهو حديث ضعيف. انظر: «علل الدَّارقطني» (٥/ ٢٢٧-٢٢٨) (٨٣٧).

أكثر أهلها النساءَ، واطَّلعتُ في الجنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[١].

وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإنِّي رأيتُكنَّ أكثر أهل النَّار، فقالت امرأةٌ منهنَّ جَزْلَة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النَّار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍّ منكنَّ، قالت: يا رسول اللهِ وما نقصان العقل والدِّين؟ قال: أمَّا نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجلٍ، فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدِّين**»[٢].

وأمَّا كونهنَّ أقل أهل الجنَّة ففي «أفراد مسلم» عن مطرف بن عبد الله: أنَّه كانت له امرأتان، فجاء من عند إحداهما، فقالتِ الأخرىٰ: جئتَ من عند فلانةٍ، فقال: جئتُ من عند عمران بن حصين، فحدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أقلَّ ساكني الجنَّة النساء**»[٣].

١/ ٢٦٥

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنَّة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

في «الصحيحين»[٤] من حديث سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلنَّ الجنَّة من أمتي سبعون ألفًا أو سبع مئة ألف آخذٌ بعضهم ببعض حتىٰ يدخل أوَّلُهم وآخرهم الجنَّة، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (٢١٩).

فهذه هي الزُمرة الأولىٰ، وهم يدخلونها بغير حساب، والدَّليل عليه ما ثبت في «الصحيحين»[1] والسِّياق لمسلم، حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أخبرنا حُصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الَّذي انقض البارحة، قلت: أنا، ثمَّ قلتُ: أما إنِّي لم أكن في صلاة، ولكنِّي لُدغت قال: فما صنعت؟ قلتُ: استرقيت قال: فما حملك علىٰ ذلك؟ قلتُ: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم الشعبي؟ قلتُ: حدثنا عن بُرَيدة بن حصيب الأسلمي أنَّه قال: لا رُقية إلَّا من عينٍ أو حُمَة، فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس ﭭ عن النَّبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النَّبي ومعه الرهط، والنَّبي ومعه الرجل والرجلان، والنَّبي وليس معه أحد، إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنَّهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه؛ ولكن انظر إلىٰ الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيم فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب**»، ثمَّ نهض فدخل منزله، فخاض النَّاس في أولئك الَّذين يدخلون الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الَّذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الَّذين وُلِدُوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله فقال: «**ما الَّذي تخوضون فيه**»؟ فأخبروه، فقال: هم الَّذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون، فقام عُكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**»، ثمَّ قام رجلٌ آخر فقال: ادعُ اللهَ أنْ يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

وليس عند البخاري «**ولا يَرْقُون**».

---

(١) البخاري (٦١٧٥)، ومسلم (٢٢٠).

قال شيخنا(١): وهو الصواب، وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث، وهو غلطٌ من بعض الرواة، فإنَّ النَّبي ﷺ جعل الوصف الَّذي استحق به هؤلاء دخول الجنَّة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أنْ يرقيهم، ولا يتطيرون -والطيرة: نوعٌ من الشرك- ويتوكلون علىٰ اللهِ وحده لا علىٰ غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل علىٰ اللهِ كما في الحديث: «**الطيرة شرك**»، قال ابن مسعود: «وما منَّا إلَّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»(٢).

فالتوكل ينافي التطير، وأمَّا رقية الغير فهي إحسان من الرَّاقي، وقد رقىٰ رسول الله جبريلُ، وأذن في الرُّقا(٣)، وقال: «**لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك**»(٤)، واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»(٥)، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله، فالرَّاقي محسنٌ، والمسترقي سائلٌ راجٍ نفع الغير، وتحقيق التوكل ينافي ذلك.

فإنْ قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاهُ.

قيل: أجل، ولكن هو لم يسترقِ، وهو ﷺ لم يقل: لا يرقيهم راقٍ، وإنَّما قال: لا يطلبون من أحدٍ أنْ يرقيهم، وفي امتناعه ﷺ أنْ يدعو للرجل الثاني سدٌّ لباب الطلب؛ فإنَّه لو دعا لكلِّ من سأله ذلك، فربما طلبه من ليس من أهله، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٨٢، ٣٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦١٤)، وأبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، وصححه ابن حبان (٦١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٥، ٢١٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ ولا عذاب»** قيل: من هم؟ قال: **«هم الَّذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون»**.

الباب الثالث والثلاثون ١/ ٢٧١

في ذِكْر حَثيَات الرَّب تبارك وتعالى الَّذين يدخلهم الجنَّة

عن محمد بن زياد قال: سمعتُ أبا أُمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«وعدني ربي أنْ يدخل الجنَّة من أمتي سبعين ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا لا حسابَ عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي»**[٢].

وعن أبي أُمامة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ وعدني أنْ يدخل الجنَّة من أُمتي سبعين ألفًا بغير حساب»** قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك يا رسول الله إلَّا مثل الذباب الأصهب[٣] في الذِّبانِ، قال رسول الله ﷺ: **«فإنَّ اللهَ وعدني سبعين ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعين ألفًا، وزادني ثلاثَ حثياتٍ»**[٤].

(١) رقم (٢١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وحسنه الترمذي.

(٣) الأصهب: هو الَّذي يعلو لونه صُهْبة، كالشُّقْرة، وهو أنْ يخالط لونه لونًا آخر. انظر: «الصحاح» (١/ ١٨٠)، و«النهاية» (٣/ ٦٢).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٠)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٢٣٠) (٧٢٤٦).

وأصحاب هذه الحثيات هم الَّذين وقعوا في قبضته الأولىٰ سبحانه يوم القبضتين[١].

فإنْ قيل: فكيف كانوا أوَّلًا قبضة واحدة، ثمَّ صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟

قيل: الرَّبُّ سبحانه وتعالىٰ أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم، وقد روي أنَّهم كانوا كالذَّر[٢]، وأمَّا يوم الحَثَيات، فيكونون أتمَّ ما كانوا خِلْقةً، وأكمل أجسامًا، فناسبَ أنْ تتعدد الحثيات بكلتا اليدين، والله أعلم.

١/ ٢٨٠

الباب الرَّابع والثلاثون

في ذكر تربة الجنَّة وطينها وحصبائها وبنائها

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سُئِل رسول اللهِ ﷺ عن الجنَّة فقال: «**من يدخل الجنَّة يحيا ولا يموتُ، وينعم لا يبأس لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه**» قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ من فضة، وملاطها مسكٌ أذفرُ، وحصباؤها

(١) لعلَّه يشيرُ إلىٰ ما أخرجهُ أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٦ - ١٧٧) من طريق أبي نضرة أنَّ رجلًا من أصحاب النَّبي ﷺ يُقال له: أبو عبد اللهِ وذكر قصة احتضاره، وفيه «ولكنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ قبض بيمينه قبضة، وأُخرىٰ باليد الأُخرىٰ، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أُبالي**». وسنده صحيح.

(٢) لعلَّه يشيرُ إلىٰ حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا: «**خلق اللهُ آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنىٰ، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرىٰ، فأخرج ذريةً سوداء كأنَّهم الحُمَم، فقال للَّذي في يمينه إلىٰ الجنَّة ولا أُبالي، وقال للَّذي في كفه اليسرىٰ: إلىٰ النَّار ولا أُبالي**». أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٤١)، وحسنه البزار في مسنده (١٠/ ٧٨) (٤١٣٣).

اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران»(١).

هكذا جاء أنَّ ترابها الزعفران.

وعن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**الجنَّةُ لبنةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ من فضة، ترابها الزعفرانُ وطينها المسكُ**»(٢).

وفي «الصحيحين(٣) من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: كان أبو ذرٍّ يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أُدْخِلْتُ الجنَّة فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسكُ**» وهو قطعة من حديث المعراج.

وروىٰ مسلمٌ في «صحيحه»(٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة، فقال: دَرمَكةٌ بيضاءُ، مسكٌ خالصٌ، فقال رسول الله ﷺ: «صدق».

فهذه ثلاث صفات في تربتها، لا تعارض بينها.

فذهبت طائفة من السلف إلىٰ أنَّ تربتها متضمنةٌ للنوعين: المِسْك والزعفران.

ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أنْ يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مِسْكًا، والطين يسمَّىٰ ترابًا، ويدل علىٰ هذا قوله في اللفظ الآخر: «**ملاطها المسك**»(٥)، والملاط:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥٣) (٣٣٩٤٤)، وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٦٠)، وهو صحيح موقوفا. انظر: «علل الدَّارقطني» (١١/ ١٣٩).

(٣) البخاري (٣١٦٤)، ومسلم (١٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠)، وهو حديث باطل.

الطين، ويدل عليه أنَّ في حديث العلاء بن زياد: «**ترابُها الزعفران، وطينها المسك**»[١]، فلمَّا كانت تربتها طيبة، وماؤها طيِّبًا، فانضمَّ أحدهما إلىٰ الآخر حدثَ لهما طيب آخر فصارا مسكًا.

المعنى الثاني: أنْ يكون زعفرانًا: باعتبار اللون. مسكًا: باعتبار الرَّائحة. وهذا من أحسن شيءٍ تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة في رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الَّذي يضرب لونه إلىٰ صفرة مع لينها ونعومتها.

١/ ٢٨٩

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها

ذكر أبو نُعَيْم من حديث ابن عباس ﷺ يرفعه: «**إنَّ اللهَ خلق الجنَّة بيضاء، وإنَّ أحبَّ اللَّون إلىٰ اللهِ البياض، فليلبسه أحياؤكم، وكفِّنُوا فيهِ موتاكم**»[٢].

ورُوِّينا من طريق النِّجاد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خالِهِ الزميل بن سماك سمع أباه يحدث أنَّه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعدما كُفَّ بَصَرُه فقال: يا ابن عباس ما أرض الجنَّة؟ قال: مَرْمرة بيضاء من فضة كأنَّها مرآة، قلتُ: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها إلَّا أنَّه ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير»، وذكر الحديث[٣].

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٠)، وضعفه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٧٧ - ٣٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٤٧)، وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥١٨).

وفي «سنن ابن ماجه» من حديث أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هل مُشمِّر للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خطر لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبدٍ في دارٍ سليمةٍ، وفاكهةٍ وخضرةٍ، وحَبرة ونعمةٍ، في محلَّةٍ عالية بهيةٍ**» قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: «**قولوا: إنْ شاء اللهِ**»، قال القوم: إنْ شاء اللهُ»(١).

الباب السادس والثلاثون ١/ ٢٩٢

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ﴾ [الزمر:٢٠].

فأخبر تعالىٰ أنَّها غرفٌ فوق غرف، وأنَّها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أنَّ ذلك تمثيل، وأنَّه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتىٰ كأنَّها تنظر إليها عيانًا، و«مَبْنِيَّة»: صفةٌ للغرف الأولىٰ والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان:٧٥].

والغرفة جنْس كالجنَّة، وتأمَّل كيف جعل جزاءهم علىٰ هذه الأفعال المتضمنة للخضوع، والذلِّ والاستكانة لله = الغرفة؛ والتحية والسلام في مقابلة صبرهم علىٰ سوء خطاب الجاهلين لهم، فبُدِّلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، وقال

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٣٨١).

تعالىٰ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢]، وقال تعالىٰ عن امرأة فرعون إنَّها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

وروىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لغُرَفًا يُرىٰ ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيَّبَ الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّىٰ باللَّيل والنَّاس نيام**»(١).

وقد تقدَّم حديث أبي سعيد المتفق علىٰ صحته: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون أهل الغرفِ فوقهم كما تراءون الكوكب الغابرَ من الأفق**»(٢).

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤة واحدةٍ مجوفةٍ، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**».

وقد تقدَّم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ اللهُ له بيتًا في الجنَّة**»(٤).

وفي «الصحيحين»(٥) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ وأبي هريرة وعائشة ﭫ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤، ٢٥٢٦)، وضعفه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٠٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٦٢).

(٣) البخاري (٤٥٩٨)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٤٤).

(٥) البخاري (٣٦٠٨)، ومسلم (٢٤٣٣) من حديث ابن أبي أوفىٰ ﭬ.
والبخاري (٣٦٠٥)، ومسلم (٢٤٣٥) من حديث عائشة ﭭ.
والبخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة ﭬ.

أنَّ جبريل قال للنَّبي ﷺ: «**هذه خديجة أقرئها السلام من ربِّها، وأمره أنْ يُبشِّرها ببيتٍ في الجنَّة من قصب، لا صخبَ فيه ولا نصب**».

والقَصَبُ ها هنا: قَصَبُ اللؤلؤ المجوف.

وفي «الصحيحين»[1] من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننتُ أنِّي أنا هو، فقلتُ: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**».

وهو فيهما من حديث جابر ولفظه: «**فأتيت علىٰ قصرٍ مُرَبَّع مشرفٍ من ذهبٍ**»[2].

الباب السابع والثلاثون ١/ ٣٠٣

في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة وإنْ لم يروها قبل ذلك

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦].

قال ابن عباس: «**لهُمْ أَعْرَف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم**»[3].

هذا قول جمهور المفسرين. وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٦]

---

(١) لم أقف عليه في الصحيحين من هذا الوجه. وإنَّما أخرجه الترمذي (٣٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢١)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٣) أخرجه عبد الملك بن حبيب السلمي في وصف الفردوس (٢٤١) (ص: ٨٨ - ٨٩). وسنده ضعيف جدًّا.

أي: بيَّنها لهم، حتىٰ عرفوها من غير استدلال(١).

وقال الحسن: «**وصف الله الجنَّة في الدنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها**»(٢).

وعلىٰ هذا القول، فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنىٰ: يدخلهم الجنَّة التي عرَّفها لهم، وعلىٰ القول الأوَّل: يكون التعريف واقعًا في الآخرة، هذا كلُّه إذا قيل: إنَّه من التعريف.

وفيها قولٌ آخر: إنَّها من العَرْفِ، وهو الرَّائحة الطيبة، وهذا اختيار الزجاج، أي: طيَّبها، ومنه طعام مُعرَّف أي مطيَّب(٣).

وقيل: هو من العُرف، وهو التَّتابع: أي تابع لهم طيباتها وملاذَّها.

والقول هو الأوَّل، وأنَّه سبحانه أعلمها وبيَّنها بما يعلم به كل أحد منزله وداره، فلا يتعدَّاهُ إلىٰ غيره.

وفي «صحيح البخاريّ»(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ نبي الله ﷺ قال: إذا خلص المؤمنون من النَّارِ حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنَّة والنَّار، يتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونقُّوا أُذِنَ لهم بدخول الجنَّة، والَّذي نفسي بيده إنَّ أحدهم بمنزله في الجنَّة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا».

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٤).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٤ - ٢٩٥) بنحوه.

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٧/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٠٨).

الباب الثامن والثلاثون

١/ ٣٠٦

في كيفية دخولهم الجنة وما يُسْتقبلون عند دخولها

وقد تقدَّم قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

عن علي رضي الله عنه قال: يُساق الَّذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنَّة زُمَرًا حتَّىٰ ينتهوا إلىٰ بابٍ من أبوابها، وجدوا عنده شجرةً يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعدوا إلىٰ إحداهما كأنَّما أُمِرُوا بها، فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذىٰ أو قذىً أو بأس، ثمَّ عمدوا إلىٰ الأُخرىٰ فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغيَّر أبشارهم أو تغير بعدها أبدًا، ولن تشعث أشعارهم كأنَّما دُهِنُوا بالدِّهان، ثمَّ انتهوا إلىٰ خزنة الجنَّة فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] قال: ثمَّ تتلقَّاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشرْ بما أعدَّ اللهُ لك من الكرامة -كذا قال- ثمَّ ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدان إلىٰ بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلانٌ باسمه الَّذي يُدعىٰ به في الدنيا، فتقول: أنتَ رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثري، فيستخف إحداهنَّ الفرحُ، حتىٰ تقوم علىٰ أسكُفَّةِ بابها، فإذا انتهىٰ إلىٰ منزله نظر إلىٰ أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلِّ لونٍ، ثمَّ رفع رأسه، فنظر إلىٰ سقه، فإذا مثل البرقِ، فلولا أنَّ اللهَ قدَّره له لألمَّ أنْ يذهب ببصره، ثمَّ طأطأ رأسه فنظرَ إلىٰ أزواجه وأكوابٍ موضوعةٍ، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فنظروا إلىٰ تلك النعمة، ثمَّ اتكئوا وقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا﴾ [الأعراف:٤٣] ثمَّ ينادي منادٍ: تَحْيونَ فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا

تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا»[١].

وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلنَّ الجنَّة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبع مئة ألف متماسكون آخذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أوَّلهم حتىٰ يدخل آخرهم، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ»**[٢].

١/ ٣١٣

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر صفة أهل الجنَّة في خَلْقِهم وخُلُقِهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق اللهُ ﷿ آدمَ علىٰ صورته، طولُه ستون ذراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب فسلِّم علىٰ أولئك النفر - وهم نفرٌ من الملائكة جُلوسٌ -، فاستمع ما يحيونك، فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهبَ فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكَ ورحمةُ اللهِ، فزادوه ورحمة الله قال: فكلُّ من يدخل الجنَّة علىٰ صورة آدمَ، طولُهُ ستون ذراعًا، فلم يزل ينقص الخلق بعدهُ حتَّىٰ الآن»**[٣] متفقٌ علىٰ صحته.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ جُردًا مُردًا بيضًا جعادًا مكحَّلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم علىٰ خلق آدم ستون ذراعًا في**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٣-١٤٤) (٢٦٤٦، ٢٦٤٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥٩) (٣٣٩٩٣)، وصححه ابن حجر في «المطالب العالية» (٤٦٠١).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٨)، ومسلم (٢٨٤١).

عرض سبعة أذرع»[١].

وقد تقدَّم أنَّ أوَّل زمرة صورهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، وأنَّ الذين يلونهم علىٰ ضوء أشدِّ كوكبٍ في السَّماءِ إضاءةً.

وأمَّا الأخلاق فقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فأخبر عن قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي «الصحيحين»[٢]: «**أخلاقهم علىٰ خَلْق رجلٍ واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

الرواية «**علىٰ خَلْق**» -بفتح الخاء وسكون اللام- والأخلاق كما تكون جمعًا للخُلق بالضم، فهي جمع للخَلق بالفتح، والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال، ولهذا فسره بقوله: «**علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة**» الحديث. وقد تقدم وفيه: «**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم علىٰ قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا**».

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالىٰ نسائهم بأنهنَّ أتراب. أي: في سِنٍّ واحدة، ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفىٰ، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة؛ لأنة أكمل سن القوة مع عظم آلات اللَّذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلىٰ مئة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨١-٨٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٨١-٨٢).

عذراء، ولا يخفىٰ التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، وأنه لو زاد أحدهما علىٰ الآخر فات الاعتدال وتَنَاسُب الخِلْقة، يصير طولًا مع دِقَّةٍ، أو غلظًا مع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم.

١/ ٣٢٠

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنَّة منزلة وأدناهم، وأعلاهم منزلة سيِّد ولدِ آدم صلوات اللَّهِ وسلامه عليه

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: موسىٰ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: هو محمد ﷺ(١).

وفي حديث الإسراء المتفق علىٰ صحته: أنه ﷺ، لما جاور موسىٰ قال: «**رب لم أظن أن يُرفَع علَيَّ أحد**»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتىٰ جاوز سدرة المنتهىٰ»(٢).

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النَّبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبدٍ**

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١). وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٩)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رقم (٣٨٤).

من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

وفي «صحيح مسلم»[١]: من حديث المغيرة بن شعبة ﵁ عن النَّبي ﷺ: **«أنَّ موسىٰ سأَلَ ربَّهُ: ما أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً؟ فقال: رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، فيقال له: ادخلِ الجنَّة، فيقول: ربِّ كيف، وقد نزل النَّاسُ منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيتُ ربِّ. قال: ربِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الَّذين أردت، غرستُ كرامتهم بيديَّ، وختمتُ عليها فلم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر».**

الباب الحادي والأربعون ١/ ٣٢٧

في تحفة أهل الجنَّة إذا دخلوها

روىٰ مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث ثوبان قال: كنتُ قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليكَ يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلتُ: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنَّما ندعوه باسمه الَّذي سمَّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اسمي محمد الَّذي سماني به أهلي»** فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيءٌ إنْ حدَّثتكَ؟ فقال: أسمعُ بأذني، فنكتَ رسول الله ﷺ بعودٍ معه في الأرض، فقال: سل؟ فقال اليهودي: أين يكون النَّاسُ يومَ تبدل الأرضُ غير الأرض والسماوات؟

---

(١) رقم (١٨٩).

(٢) رقم (٣١٥).

فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أَوَّل النَّاس إجازةً يوم القيامة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تُحْفتهم حين يدخلون الجنَّة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غِذاؤهم علىٰ إثره؟ قال: ينحر لهم ثور الجنَّة الَّذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عينٍ فيها تُسمَّىٰ سلسبيلًا، قال: صدقت.

وفي «صحيح البخاري»[1] عن أنس ﵁ قال: سمع عبدُ اللهِ بن سلام مَقْدَم النَّبي ﷺ المدينة، وهو في أرضٍ يَخْتَرِفُ، فأتىٰ النَّبي ﷺ فقال: إنِّي سائلكَ عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلَّا نبي، فما أَوَّل أشراط السَّاعة؟ وما أَوَّل طعام أهل الجنَّة؟ وما ينزع الولدُ إلىٰ أبيه أو أُمِّه؟ قال: أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا، قال جبريل؟ قال: نعم، قال ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]، أمَّا أَوَّل أشراط السَّاعة: فنارٌ تحشر النَّاس من المشرق إلىٰ المغرب، وأمَّا أَوَّل طعام يأكله أهل الجنَّة: فزيادة كبدِ الحوت، وإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدُ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد، قال: أشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأشهد أنَّك رسول الله.

١/ ٣٣٠

الباب الثاني والأربعون

في ذكر ريح الجنَّة، ومن مسيرة كم يُنْشَق

قال الطبراني: عن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النَّبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا من أهل الذمة لم يَرَحْ رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة مئة عام**»[2].

(١) رقم (٣٧٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني لعلَّه في «المعجم الكبير» -في القسم المفقود-.

ورواهُ البخاري في «الصحيح» عن عبد الله بن عمرو ﵄، وقال: «**ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**».

وقال الترمذي: عن أبي هريرة ﵁ عن النَّبي ﷺ قال: «**ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رسوله، فقد أخفر بذمَّة اللهِ، فلا يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا**»[1].

قال: «وفي الباب عن أبي بكرة، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

قال محمد بن عبد الواحد: «وإسناده عندي علىٰ شرط الصحيح»[2].

وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

وقد أخرجا في «الصحيحين»[3] من حديث أنس قال: لم يشهد عَمِّي مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشقَّ عليه، قال: أوَّلُ مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غبتُ عنه، فإنْ أراني اللهُ مشهدًا فيما بعدُ مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنعُ، قال: فهابَ أنْ يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يومَ أحد، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهًا لريح الجنَّة أجده دون أُحد، قال: فقاتلهم حتىٰ قُتِلَ، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمَّة الرُّبَيِّع بنتُ النضر: فما عرفتُ أخي إلَّا ببَنَانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]. قالوا: فكانوا يرون أنَّها نزلت فيه وفي أصحابه.

وريح الجنَّة نوعان: ريحٌ يوجد في الدنيا تشمُّه الأرواح أحيانًا ولا تدركه

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وابن ماجه (٢٦٨٧)، وصححه الترمذي والحاكم (٢/ ١٣٨) (٢٥٨١).

(٢) انظر: «صفة الجنة» له (ص: ١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (١٩٠٣).

العبارة، وريح يُدرك بحاسة الشمِّ للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنَّة في إدراكه في الآخرة من قرب وبُعد، وأمَّا في الدنيا فقد يدركه من شاء اللهُ من أنبيائه ورسله، وهذا الَّذي وجدهُ أنس بن النضر يجوز أنْ يكون من هذا القسم، وأنْ يكون من الأوَّل، واللهُ أعلمُ.

وقد أشهد اللهُ سبحانه عباده في هذه الدَّار آثارًا من أثار الجنَّة، وأنموذجًا منها من الرائحة الطيبة، واللَّذات المُشْتهاة، والمناظر البَهيَّة، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسُّرور، وقُرَّة العين.

كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها مُذكِّرةً بنار الآخرة، قال تعالىٰ في هذه النَّار: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة:٧٣].

وأخبر النَّبي ﷺ أنَّ شدَّة الحرِّ والبردِ من أنفاس جهنَّم[١]، فلا بُدَّ أنْ يشهد عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها، واللهُ المستعان.

١/ ٣٣٨

الباب الثالث والأربعون

في الأذان الَّذي يؤذن به مؤذن الجنَّة فيها

روىٰ مسلمٌ في «صحيحه»[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «يُنادي منادٍ: إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رقم (٢٨٣٧).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث صهيب ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّارِ النَّارَ، نادىٰ منادٍ، يا أهل الجنَّة، إنَّ لكم عند اللهِ موعدًا، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثَقِّل موازيننا، ويُبيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجنَّة، وينجِّينا من النَّارِ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلىٰ اللهِ، فواللهِ ما أعطاهم الله شيئًا هو أحبَّ إليهم من النظر إليه**».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟**

فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا».

ومن تراجم البخاري عليه: بابٌ: كلامُ الربِّ مع أهل الجنة[(٣)].

وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله تعالىٰ[(٤)].

وفي «الصحيحين»[(٥)] من حديث ابن عمر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه**».

---

(١) رقم (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) في كتاب التوحيد (٦/ ٢٧٣٢) (٧٠٨٠).

(٤) انظر: (ص: ٢٠٠).

(٥) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالىٰ، يرسل إليهم ملكًا، فيؤذن فيهم بذلك فيسارعون إلىٰ الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة، كما سيأتي مبينًا في باب: زيارتهم الرب ﷻ[1] إن شاء الله تعالىٰ، والله أعلم.

١/ ٣٤٢

الباب الرَّابع والأربعون

في أشجار الجنَّة، وبساتينها وظلالها

قال تعالىٰ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة:٢٧-٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ [الرحمن:٤٨]، وهو جمع فَنَنٍ: وهو الغصن، وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن:٦٨].

والمخضود: الَّذي خُضِد شوكه: أي نُزِعَ وقُطِعَ، فلا شوك فيه.

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبي الأحوص، وقسامة بن زهير، وجماعة[2].

واحتجَّ هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أنَّ الخضد في اللغة: القطعُ، وكلُّ رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر: إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود.

الحُجَّة الثانية: قال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو عن سُلَيم بن

---

(١) انظر: (ص: ١٨٩).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٢١٨) (٣١٢٥) والطبري (٢٧/ ١٧٩ - ١٨٠).

عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنَّ اللهَ لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يومًا، فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنَّة شجرةً مؤذيةً، وما كنتُ أرىٰ في الجنَّة شجرةً تُوذي صاحبها، قال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السِّدْرُ، فإنَّ له شوكًا مؤذيًا، قال: أليس الله يقول: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ [الواقعة:٢٨]؟! خَضَدَ اللهُ شوكه فجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرةً»[1].

وقالت طائفة: المخضود هو: المُوْقَر حَمْلًا[2].

وأُنْكِرَ عليهم هذا القول، وقالوا: لا يُعْرَفُ في اللغة الخضد بمعنىٰ الحمل. ولم يُصِبْ هؤلاءِ الَّذين أنكروا هذا القول، بل هو قولٌ صحيح، وأربابه ذهبوا إلىٰ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لمَّا خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرة أوقره بالحمل، والحديث المذكور يجمع القولين[3].

وكذلك قول من قال: المخضود الَّذي لا يَعْقِر اليد، ولا يرد اليد منه شوك ولا أذىٰ فيه، فسَّره بلازم المعنىٰ، وهكذا **غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفردًا من أفراده تارة، ومثالًا من أمثلته فيحكيها الجمَّاعون للغثِّ والسَّمين أقوالًا مختلفة، ولا اختلاف بينها.**

فصل

١/ ٣٤٥

الطلح هو الشجرة العظيمة

وأمَّا الطَّلْحُ: فأكثر المفسرين قالوا: إنَّه شجر الموز.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» -رواية نُعَيم- (٢٦٣)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٨) (٣٧٧٨).

(٢) قال به الحسن وقتادة وسعيد بن جبير وعكرمة. انظر: «تفسير الطبري» (٢٧/ ١٨٠).

(٣) وممَّن قال بالقولين جميعًا: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة. انظر: الطبري (٢٧/ ١٧٩- ١٨٠).

قال مجاهد: «أعجبهم طلح وَجٍّ وحُسْنه، فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾»[(١)].

وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم[(٢)].

وقالت طائفة أخرىٰ: «بل هو شجرٌ عظامٌ طوالٌ، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب.

ولهذا الشجر نورٌ ورائحة طيبة، وظلٌّ ظليل، وقد نضد بالحمل والثَّمر مكان الشوك.

والظَّاهر أنَّ من فسَّر الطَّلح المنضود: بالموز، إنَّما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلَّا فالطلح في اللغة: هو الشَّجر العظام من شجر البوادي والله أعلم.

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ في الجنَّة شجرةً يسير الرَّاكبُ في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها فاقرؤوا إنْ شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة:٣٠]».

وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في الجنَّة شجرة إلَّا وساقها من ذهب**»[(٤)].

قال: «هذا حديث حسن».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول اللهُ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة:١٧]، وفي

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٨١ و ١٨٢)، وسنده صحيح.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧/ ١٨١)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٨٠، ٤٥٩٩)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢٤)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤١٠).

الجنَّة شجرة يسير الرَّاكبُ في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، وموضع سوط من الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إنْ شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]»(١).

رواهُ بهذا اللفظ والسِّياق الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصَدْرُهُ في الصحيحين(٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، ما طوبىٰ؟ قال: شجرة في الجنَّة مسيرة مئة سنة، ثيابُ أهل الجنَّة تخرج من أكمامها»(٣).

الباب الخامس والأربعون ١/ ٣٥٨

في ثمارها وتعدُد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥].

وقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥]: أي شبيهه ونظيره لا عَيْنَهُ، وهل المراد أنَّ هذا الَّذي رُزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمارِ، أو هذا نظيْرُ الَّذي رزقنا في الجنة قبلُ؟

قيل: فيه قولان: فعن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النَّبي

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢)، وابن ماجه (٤٣٣٥)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤١٧).

(٢) البخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (٢٧٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٤٩)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤١٣).

ﷺ قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أنَّهم أُتوا بالثمرة في الجنَّة، فلمَّا نظروا إليها قالوا: هذا الَّذي رزقنا من قبل في الدنيا»[١].

وقال آخرون: هذا الَّذي رُزِقْنَا من قبل من ثمار الجنَّة، من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضًا في الَّلون والطَّعم.

واحتجَّ أصحاب هذا القول بأنَّ من المعلوم أنَّه ليس كل ما في الجنَّة من الثمار قد رزقوه في الدنيا، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها.

ورجحت طائفة منهم: ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجَّت بوجوه.

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥].

فقال الحسن: «خيارٌ كله لا رَذْل فيه، ألم تروا إلىٰ ثمر الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأنَّ ذلك ليس فيه رذل»[٢].

وعلىٰ هذا، فالمراد بالمُتَشَابه المُتَوافِق والمُتَماثِل.

وقالت طائفة أخرىٰ: منهم ابن مسعود، وابن عباس، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: «متشابهًا في الَّلون والمرأىٰ، وليس يُشْبِهُ الطعمُ الطعمَ»[٣].

وقال طائفة: معنىٰ الآية: أنَّه يشبه ثمر الدنيا، غيرَ أنَّ ثمر الجنَّة أفضل وأطيب. قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان، قالوا في الجنَّة: هذا الَّذي رزقنا من قبل، وأُتوا به متشابهًا: يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٥ - ٣٨٦) (٥١٢)، وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٩) (٥٢٠)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٠) (٥٢٤) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٢) (٥٣٦)، وسنده صحيح.

واختار ابن جرير هذا القول.

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص:٥٠-٥١]، وقال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥].

وهذا يدلُّ علىٰ أمنهم من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة:٣٢-٣٣].

أي لا تكون في وقتٍ دون وقتٍ، ولا تُمْنَع مِمَّن أرادها.

وقال تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة:٢١-٢٣].

والقطوف: جمع قِطْف، وهو ما يُقْطف. والقَطْف -بالفتح- الفِعْل، أي ثمارها دانية: قريبة ممَّن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: «يتناول الثمرة وهو نائم»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان:١٤].

قال ابن عباس ﵄: «إذا هَمَّ أنْ يتناول من ثمارها تدلَّتْ إليه حتَّىٰ يتناول ما يريد»(٢).

وقال غيره: «قُرِّبت إليهم مُذلَّلة كيف شاؤوا، فهم يتناولوها قيامًا وقعودًا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٦١).

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٤/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٤٣٦).

ومضطجعين»[١]، فيكون كقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]

ومعنىٰ تذليل القطف: تسهيل تناوله.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وفي الجنتين الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨].

وخصَّ النخل والرُّمَّان من بين الفاكهة بالذِّكْرِ لفضلهما وشرفهما، كما نصَّ علىٰ حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفواكه، وأطيبها وأحلاها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرَّجلَ إذا نزعَ ثمرةً من الجنَّة عادتْ مكانها أخرىٰ**»[٢].

وقد تقدَّم: أنَّ سدرة المنتهىٰ نبقها مثل القلال[٣].

وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث جابر رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**عُرضت عليَّ الجنَّة حتىٰ لو تناولت منها قطفًا أخذته**».

وفي لفظ: «**فتناولت منها قطفًا فقصرت عنه يدي**».

وعن ابن عباس قال: «**ثمرُ الجنَّة أمثال القلال والدلاء، أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وألينُ من الزُّبْدِ، ليس فيه عَجَم**»[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٠٢) (١٤٤٩)، والبزار في «مسنده» (١٠/ ١٢٣) (٤١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) رقم (٩٠٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٥١).

وأمَّا الرَّيْحَانة: فهو كل نبت طيِّب الرَّائحة.

قال الحسن وأبو العالية: «هو ريحاننا هذا، يؤتىٰ بِغُصْنٍ من ريحان الجنَّة فنشمُّه»(١).

الباب السادس والأربعون ١/ ٣٧٢

في زرع الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تشتهي(٢) ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ كان يومًا يحدث -وعنده رجلٌ من أهل البادية-: «**أنَّ رجلًا من أهل الجنَّة استأذنَ ربَّهُ عز وجل في الزرع فقال له: أولستَ فيما اشتهيت؟ فقال: بلىٰ، ولكن أحبُّ أنْ أزرع، فأسرع وبذرَ فبادر الطَّرْف نباته واستواؤُهُ واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول اللهُ عز وجل: دونك يا ابنَ آدم، فإنَّه لا يشبعك شيءٌ، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا نجدُ هذا إلَّا قُرَشيًّا أو أنصاريًّا، فإنَّهم أصحاب زرعٍ، فأمَّا نحنُ فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ**»(٣).

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ في الجنَّة زرعًا، وذلك البَذْرُ منه، وهذا أحسنُ أنْ تكون الأرض معمورةً بالشَّجر والزرع.

فإنْ قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربَّه في الزرع، فأخبره أنَّه في غنْيةٍ عنه؟

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٢) وسنده إلىٰ الحسن: صحيح. وسنده إلىٰ أبي العالية: ضعيف.

(٢) هي قراءة ابن كثير وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨١).

قيل: لعلَّه استأذن في زرع يباشره ويبذره بيده، وقد كان في غُنيةٍ عن ذلك وقد كُفِي مؤونته، **ولا أعلم ذكر الزرع في الجنَّة إلَّا في هذا الحديث**، واللهُ أعلم.

١/ ٣٧٤

الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنَّة وعيونها وأصنافها ومجراها الَّذي تجري عليه

وقد تكرَّر في القرآن في عدَّة مواضع قوله تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وفي موضع: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا﴾ [التوبة:١٠٠]، وفي موضع: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [يونس:٩].

وهذا يدلُّ علىٰ أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثاني: أنَّها جارية لا واقفة.

الثالث: أنَّها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا.

وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت النَّاس في الدنيا، فقال: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾ [الأنعام:٦]، فهذا علىٰ المعهود المتعارف، وكذلك ما حكاهُ من قولِ فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزخرف:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦].

عن سعيد قال: «نضَّاختان بالماءِ والفواكه»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «نضَّاختان: بالمسكِ والعنبر، تنضخان علىٰ دُوْرِ أهل

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٦).

الجنَّة، كما ينضخ المطر علىٰ دور أهل الدنيا»(١).

وعن البراء رضي الله عنه قال: «اللتان تجريان أفضل من النَّضَّاختين»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد:١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كلٍّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أنْ يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأنْ يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذَّة شربها، وآفة العسلِ عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالىٰ أنْ يُجري أنهارًا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويُجْرِيْها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللَّذة بها، كما نفىٰ عن خمر الجنَّة جميع آفات خمر الدنيا، من الصداع والغَوْلِ واللَّغوِ والإنزافِ وعدم اللَّذة.

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، وتكثر اللَّغو علىٰ شربها؛ بل لا يطيب لشرابها ذلك إلَّا باللَّغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدِّع الرَّأس، وهي كريهة المذاق. وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاءِ بين النَّاسِ، وتصُد عن ذكر اللهِ وعن الصلاة.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧٢)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧٣)، وسنده صحيح.

١/ ٣٧٩

فصل

أنهار الجنة تتفجر من أعلاها

وأنهار الجنَّة تتفجَّر من أعلاها، ثمَّ تنحدر نازلةً إلىٰ أقصىٰ درجاتها، كما روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ في الجنَّة مئة درجة أعدَّها اللهُ عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللهُ فاسألوهُ الفردوس، فإنَّه وسطُ الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنَّة**».

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهىٰ في السماء السابعة، نبقها مثلُ قلال هَجَر، وورقها مثل آذانِ الفيلة، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلتُ: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنَّة، وأمَّا النهرانِ الظاهران، فالنيل والفرات**».

وفي «صحيحه»[3] أيضًا من حديث أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أسيرُ في الجنَّة، إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قبَابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الَّذي أَعطاك ربُّك، قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينه أذفر**».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**الكوثرُ نهرٌ في الجنَّة وَعَدَنِيْه ربي عز وجل**».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهرٌ في الجنَّة حافتاهُ من ذهب، ومجراهُ علىٰ الدر والياقوتِ، تربته أطيبُ من المسك، وماؤه أحلىٰ من**

(١) تقدم تخريجه (ص:٥٥).

(٢) معلَّقًا (٥٢٨٧)، وهو معلول سندًا ومتنًا. انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٧٣).

(٣) رقم (٦٢١٠).

(٤) رقم (٤٠٠).

العسلِ، وأبيضُ من الثلج»[(١)].

وعن مجاهد: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] قال: «الخير الكثير»[(٢)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «أظنُّكُم تظنون أنَّ أنهار الجنَّة أخدود في الأرض؟ لا والله، إنَّها لسائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر، قال قلتُ: ما الأذفر؟ قال: الَّذي لا خلط له»[(٣)].

ورواهُ ابن مردويه في «تفسيره» مرفوعًا.

وعن مسروق في قوله: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة:٣١] قال: «أنهار تجري في غير أخدود» قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] قال: «من أصلها إلى فرعها، أو كلمة نحوها»[(٤)].

وفي «صحيح مسلم»[(٥)] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيحان وجيحان والفراتُ والنيل: كلٌّ من أنهار الجنَّة»**.

فصل

١/ ٣٩١

عيون الجنة

وأمَّا العيون: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات:١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٠)، وابن ماجه (٤٣٣٤). وصححه الترمذي.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٢٢)، وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٢٠).

(٥) رقم (٢٨٣٩).

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧-١٨]، فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صِرْفًا؛ أنَّ شراب الأبرار يمزج منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأَعمال كلها لله، فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا، فمزج شرابهم.

ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٨].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؟ بالكافور في أوَّل السُّورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ في الكافور من البرد وطيب الرَّائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرَّائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشَّرابين -ومجيء أحدهما علىٰ إثر الآخر- حالةً أخرىٰ أكمل وأطيب وألذ من كلٍّ منهما بانفراده، وتعتدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أوَّل السورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ شرابهم مُزِج أوَّلًا بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظَّاهرُ أنَّ الكأس الثانية غير الأولىٰ، وأنَّهما نوعان لذيذان من الشراب، **أحدهما**: مُزِجَ بكافور، **والثاني**: مُزِجَ بزنجبيل.

وأيضًا؛ فإنَّه سبحانه أخبر عن مَزْجِ شرابهم بالكافور وبَرْدِهِ في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف، والإيثار، والصبر، والوفاءِ بجميع الواجبات التي نبَّهَ بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه علىٰ أنفسهم بالنَّذْرِ علىٰ الوفاءِ بأعلاها، وهو ما أوجبه اللهُ عليهم، ولهذا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]، فإنَّ في الصَّبر من الخشونة وحبس النَّفس عن شهواتها؛ ما اقتضىٰ أنْ يكون في جزائهم من سعة الجنَّة، ونعومة الحريرِ ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور،

هذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كَمَا جمَّلُوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان.

ونظيره قوله تعالى في آخر السورة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١]، **فهذه زينة الظاهر، ثمَّ قال:** ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

فهذه زينة الباطن المُطَهِّر له من كلِّ أذى ونقص.

ونظيرهُ قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩].

فضَمِنَ لهُ أنْ لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذلُّ الظاهر بالعُريِّ، وأنْ لا يناله حرّ الباطن بالظمأ، ولا حرُّ الظاهر بالضحى.

ونظيرُ هذا ما عدَّدهُ على عباده من نعمه أنَّه أنزل عليهم لباسًا يواري سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباسًا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم، وهو لباس التقوى، وأخبر أنَّه خير اللباسين[1].

وقريبٌ من هذا إخباره أنَّه زيَّنَ السَّماءَ الدنيا بزينة الكواكب، وحفظها من كلِّ شيطانٍ ماردٍ، فزيَّن ظاهرها بالنُّجوم، وباطنها بالحراسة[2].

وقريبٌ منه أمره من أراد الحج بالزَّاد الظَّاهر، ثمَّ أخبر أنَّ خير الزَّادِ الزادُ الباطن، وهو التقوىٰ[3].

---

(١) يُشير إلىٰ آية (٢٦) من سورة الأعراف.

(٢) يشير إلىٰ آيتي (٦ و ٧) من سورة الصافات.

(٣) يشير إلىٰ آية (١٩٧) من سورة البقرة.

وقريبٌ منه قول امرأة العزيز عن يوسف: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢]، فأرتهنَّ حُسْنَهُ وجماله، ثمَّ قالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢]. فأخبرتهنَّ بجمال باطنه، وزينته بالعِفَّةِ.

وهذا كثيرٌ في القرآن لمن تأمله.

١/ ٣٩٥

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنَّة، وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٣]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٥-٢٦].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنَّة ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جُشاءٌ**

---

(١) رقم (٢٨٣٥) - (١٩).

كريحِ المسكِ، يُلْهَمُون التسبيح والتكبير كما تُلهمون النَّفَسَ».

وفي «المسند» و«سنن النسائي» بإسناد صحيح علىٰ شرط الصحيح من حديث زيد بن أرقم قال: «جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلىٰ النَّبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «**نعم، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليُعْطَىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**»، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذىٰ، قال: «**تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فَيضْمُر بطنه**»[1].

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة، وشرابهم علىٰ أثره[2].

وعن عبد الله ابن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في الكوثر: قال رسول الله ﷺ: «**هو نهرٌ أعطانيه ربي أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزُرِ**»، فقال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: «**آكِلُها أنعم منها**»[3].

وعن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨]، يقول: «الخمر»، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧] يقول: «ليس فيها صداع»، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة:١٩] يقول: «لا تذهب عقولهم»، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ:٣٤]، يقول:

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧ و ٣٧١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ١١٤٧٨)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤٢٤).

(٢) عند البخاري (٣٧٢٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٩١).

«ممتلئة»، وقوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥] يقول: «الخمر ختم بالمسك»[١].

وعن ابن مسعود: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين:٢٦]. قال: «خلطه، وليس بخاتم يختم»[٢].

قلت: يريد -والله أعلم- أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، ليس من الخاتم.

وعن عبد الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٧] قال: «يمزج لأصحاب اليمين، ويشربُها المقربون صرفًا»[٣].

وعن عطاء قال: «التَّسْنِيم: اسم العين التي يمزج به الخمر»[٤].

وقد تقدَّم الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٦] وعلىٰ قوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧-١٨].

والسلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها، قال قتادة: «سَلِسَة لهم يصرفونها حيث شاؤوا»[٥]. وهذا من الاشتقاق الأكبر.

وقال أبو العالية والمقاتلان[٦]: «تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم». وهذا من سلاستها وحِدَّة جريتها.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٧)، وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٠٦).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٢).

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٦)، وسنده حسن.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧١) (٣٤٣٧)، والطبري (٢٩/ ٢١٨).

(٦) المقاتلان هما: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان. وانظر هذا النقل عنهما في تفسير الماوردي (٦/ ١٧١)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٢٩٧).

وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق[١].

فقد تضمنت هذه النصوص أنَّ لهم فيها الخبز واللَّحم والفاكهةَ والحلوىٰ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا ممَّا في الآخرة إلَّا الأسماء، وأمَّا المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإنْ قيل: فأين يُشْوىٰ اللحم وليس في الجنة نار؟.

فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يُشْوىٰ بـ ﴿كُن﴾.

وأجاب آخرون: بأنَّه يشوىٰ خارج الجنة، ثم يؤتىٰ به إليهم.

والصواب: أنه يشوىٰ في الجنة بأسباب قدرها العزيز العليم لإنضاجه وإصلاحه، كما قَدَّرَ هناك أسبابًا لإنضاج الثمر والطعام، علىٰ أنَّه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئًا.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الأَلُوَّةُ**»[٢]، و«المجامر»: جمع مَجْمَر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه. و«الألوة»: العود المُطرَّىٰ. فأخبر أنهم يتجمرون به، أي: يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أنَّ في الجنَّة ظلالًا، والظلال لا بُدَّ أنْ تفيء ممَّا يقابلها فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

فالأطعمة والحلوىٰ والتَّجمر تستدعي أسبابًا تتم بها، والله سبحانه خالق

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ١٤٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨١).

السَّبب والمُسَبَّب، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابًا تُصَرِّف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويُلطِّفه، ويهيئه لخروجه رشحًا وجشاءً، وكذلك ما هناك من الثمار

والفواكه يخلق لها من الحرارة ما يُنْضِجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالًا، فربُّ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحِكَم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته؛ ولكنَّها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه علىٰ أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك علىٰ الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم؛ وإلَّا فليست قدرته سبحانه وتعالىٰ مقصّرة عن أسباب أُخَر؛ وَمُسَبَّبَات ينشئها منها؛ كما لم يقصر في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولىٰ التي أنشأها الرب سبحانه وتعالىٰ فيها بالعيان والمشاهدة = أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنوىٰ المناسب لها = أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها.

ولعلَّ جريان بحار الماء بين السماء والأرض علىٰ ظهور السحاب = أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

وبالجملة، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلىٰ التفكُّر فيها، وجعلها آياتٍ دالةً علىٰ كمال قدرته، وعِلَّةً في مشيئته وحكمته وملكه، وعلىٰ توحُّده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار = تجد هذه أدلَّ شيءٍ

علىٰ تلك، شاهدة لها، وتجدهما من مشكاةٍ واحدة، وربٍّ واحد، وخالقٍ واحد، وملكٍ واحد، فبُعدًا لقومٍ لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون ١/ ٤١١

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١]، فالصحاف: جمعُ صَحْفَة، قال الكلبي: «بقصاعٍ من ذهبٍ».

وأمَّا الأكواب فجمع كوبٍ، قال الفرَّاء: «الكوب: المستدير الرَّأس الَّذي لا أُذُنَ له»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧-١٨].

الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم، فإنْ لم يكن لها خراطيم ولا عُرًىٰ فهي أكواب. وإبريق: إفعيل من البَريق، وهو الصفاء الَّذي يبرق لونه من صفائه، ثمَّ سُمِّيَ ما كان علىٰ شكله إبريق؛ وإنْ لم يكن صافيًا، وأباريق الجنَّة من الفضة في صفاء القوارير، يُرَىٰ من ظاهرها ما في باطنها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٥-١٦].

فالقوارير: هي الزجاج، فأخبر سبحانه وتعالىٰ عن مادة تلك الآنية أنَّها من الفضة، وأنَّها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفرَّاء (٣/ ٣٧).

سبحانه توهُّم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾، قال مجاهد وقتادة ومُقاتل والكلبي والشعبي: «قوارير الجنَّة من الفضة»(١)، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصُّناع هذه الآنية علىٰ قدر رِيِّهِم، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن رِيِّهِ لنقص التذاذه، ولو زاد حتىٰ يُسْئر(٢) منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي.

هذا قول جماعة المفسرين.

وقال أبو عبيد: «يكون التقدير للذين يسقون يقدرونها، ثم يسقون». يعني أن الضمير في «قدروا» للملائكة والخدم، قدروا الكأس علىٰ قدر الرِّيِّ، فلا يزيد عليه فَيُثْقِل الكف، ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم.

وقالت طائفة: الضمير يعود علىٰ الشاربين، أي قدروا في أنفسهم شيئًا، فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه.

وقول الجمهور أحسن وأبلغ، فهو مستلزم لهذا القول. والله أعلم.

وأما الكأس، فقال أبو عبيدة: «هو الإناء بما فيه»(٣).

والمفسرون فسَّروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل(٤)، حتىٰ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٢١٥ - ٢١٧)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٢٩٦)، و«تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٢ - ٣١٣).

(٢) يسئر: أي يفْضل، وبقية كل شيء سُؤْره، انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ١٥٩٢).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٣).

قال الضحاك: «كل كأس في القرآن، فإنما عنىٰ به: الخمر»[١].

وهذا نظر منهم إلىٰ المعنىٰ والمقصود: فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه. وأيضًا، **فإن من الأسماء ما يكون اسمًا للحال والمحل مجتمعين ومنفردين: كالنهر، والكأس. فإن النهر اسم للماء ولمحله معًا، ولكل منهما على انفراده، وكذلك الكأس، والقرية. ولهذا يجيء لفظ القرية مرادًا به الساكن فقط، والمسكن فقط، والأمران معًا.**

وقد أخرجا في «الصحيحين»[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن**».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث حذيفة بن اليمان أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

الباب الخمسون ١/ ٤١٩

في ذكر لباسهم وحليتهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيِّهم

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الدخان:٥١-٥٣].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، وسنده صحيح.

(٢) تقدم تخريجه ص(٧٦).

(٣) البخاري (٥١١٠)، ومسلم (٢٠٦٧).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قال جماعةٌ من المفسرين: السندس: ما رقَّ من الديباج، والاستبرق: ما غلظَ منه[(١)].

وقال طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به: الصَّفيق.

وقال الزجاج: «هما نوعان من الحرير»[(٢)].

وأحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وها هنا مسألة هذا موضع ذكرها، وهي أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ أخبر أنَّ لباس أهل الجنَّة حرير، وصحَّ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[(٣)].

متفق علىٰ صحته، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضي الله عنهما.

وقد اخْتُلِفَ في المراد بهذا الحديث:

- فقالت طائفة من السلف والخلف: إنَّه لا يلبس الحرير في الجنَّة، ويلبس غيره من الملابس، قالوا: وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فمن العام المخصَّص.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (٣/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٩٦)، ومسلم (٢٠٦٩) من حديث عمر رضي الله عنه، والبخاري (٥٤٩٤)، ومسلم (٢٠٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال الجمهور: هذا من الوعيد الَّذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل علىٰ أنَّ هذا الفعل مقتضٍ لهذا الحكم، وقد يتخلَّف عنه لمانع.

وقد دلَّ النص والإجماع علىٰ أنَّ التوبة مانعةٌ من لحوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضًا الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين، وشفاعة من أذن اللهُ له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلىٰ نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]، وقال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:٢١].

وتأمَّل ما دلَّت عليه لفظة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ من كون اللباس ظاهرًا بارزًا يُجَمِّل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الَّذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

واختلف المفسرون(٢): هل ذلك للولدان الَّذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق، أو السادات الذين يطوف عليهم الولدان، فيطوفون علىٰ ساداتهم، وعلىٰ السادات هذه الثياب؟.

وتأمَّل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة، كما تقدم قريبًا، فجمَّل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥٣)، ومسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر ﵄.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٢٢٠).

وقد أخرجا في «الصحيحين»[(١)] والسياق لمسلم: عن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يدهُ حتىٰ تبلغ إبطه، فقلتُ له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فَرُّوخ أنتم ها هنا؟ لو علمتُ أنَّكم ها هنا ما توضأتُ هذا الوضوء، سمعتُ خليلي ﷺ يقول: «**تبلغُ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**».

وقد احتجَّ بهذا من يرىٰ استحباب غسل العَضُد وإطالته.

والصحيح أنَّه لا يستحب، وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان.

والحديث لا يدلُّ علىٰ الإطالة، فإنَّ الحلية إنَّما تكون زِينًا في الساعد والمِعصم لا في العضد والكتف.

وأمَّا قوله: «**فمن استطاع منكم أنْ يطيل غرَّتهُ فليفعل**»[(٢)].

فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النَّبي ﷺ بيَّن ذلك غير واحدٍ من الحفَّاظ.

وفي «مسند الإمام أحمد» في هذا الحديث قال نُعَيْمٌ: فلا أدري قوله: «**من استطاع منكم أنْ يطيل غرته فليفعل**» من تمام كلام النَّبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنده.

وكان شيخنا يقول: «هذه اللفظة لا يمكن أنْ تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإنَّ الغرة لا تكون في اليد، لا تكون إلَّا في الوجه، وإطالتها غير ممكنة، إذ تدخل في الرأس ولا يسمَّىٰ ذلك غُرَّة».

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٦)، وأحمد (٢/ ٥٢٣).

وفي «صحيح مسلم»[١] عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنَّة ينعمُ لا يبأس، لا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه، في الجنَّة ما لا عينٌ رأت، وأُذُنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**».

وقوله: «**لا تبلىٰ ثيابه**»: الظاهر أنَّ المراد به الثِّياب المُعَيَّنة لا يلحقها البِلَىٰ، ويحتمل: أنْ يراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجُدد، كما أنَّها لا ينقطع أكلها في جنسه، بل كلُّ مأكولٍ يخلفه مأكولٌ آخر، واللهُ أعلم.

وفي «الصحيحين»[٢] عن أنس بن مالك ﷺ قال: أهدَىٰ أُكَيْدَرُ دومَة إلىٰ النَّبي ﷺ جُبَّةً من سُندس، فتعجَّب النَّاسُ من حُسْنِها، فقال: «**لمناديلُ سعدٍ في الجنَّة أحسنُ من هذا**».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث البراء قال: أُهديَ لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنَّة أحسنُ من هذا**».

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ها هنا، فإنَّه كان في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرش[٤]، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم اللهُ له بالشهادة، وآثر رضا اللهِ ورسوله، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الَّذي حكم به حُكم اللهِ فوق سبع سماواته[٥]، ونعاهُ جبريل

---

(١) رقم (٢٨٣٦).

(٢) البخاري (٢٤٧٣، ٣٠٧٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٣) البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (٢٤٦٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٧٨) (٢٥٩٣)، ومسلم (١٧٦٨).

عليه السلام إلى النَّبي ﷺ يوم موته[1]، فحُقَّ له أنْ تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنَّة أحسن من حُلَل الملوك.

١/ ٤٣٨

فصل

ومن ملابسهم التِّيجان على رؤوسهم

عن أبي سعيد الخدري أنَّ النَّبي ﷺ تلا قوله ﷻ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [فاطر:٣٣] فقال: «**إنَّ عليهم التيجان، إنَّ أدنىٰ لؤلؤةٍ منها لتضيءُ ما بين المشرق والمغربِ**»[2].

١/ ٤٤٠

فصل

فرش الجنة مبطنة بالإستبرق

وأمَّا الفرش: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن:٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤].

فَوَصَفَ الفُرُش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدلُّ علىٰ أمرين:

أحدهما: أنَّ ظهائرها أعلىٰ وأحسن من بطائنها؛ لأنَّ بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

عن عبد الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن:٥٤]، قال: «**هذه البطائن قد خُبِّرتم بها، فكيفَ بالظَّهائر؟**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨٩) وهو مرسل.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٧٣٩٧)، وصححه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٤٩)، وسنده لا بأس به.

الثاني: يدلُّ علىٰ أنَّها فرش عالية لها سَمْك وحَشْو بين البطانة والظهارة.

وقد رُوِيَ في سمكها وارتفاعها آثار؛ إنْ كانت محفوظة، فالمراد: ارتفاع محلِّها؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤] قال: «**ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض**»(١).

فصل

١/ ٤٤٥

النمارق هي الوسائد والزرابي هي البسط

وأمَّا البُسُط والزَّرابي: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

عن سعيد بن جبير قال: «الرَّفْرف: رياض الجنَّة، والعَبْقَرِي: عتاق الزرابي»(٢).

وأمَّا النمارق: فقال الواحدي: «هي الوسائد؛ في قول الجميع»(٣).

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ يعني: البسط، والطَّنافس. واحدها زِرْبِيَّة: في قول جميع أهل اللغة والتفسير. و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة منشورة(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعثِ» (٣٤٢)، وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٣)، وسنده صحيح.

(٣) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٧٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ١٦٤).

١/ ٤٤٦

فصل

الرفرف ثياب خضر

وأمَّا الرَّفْرف: فقال الليث: «هو ضربٌ من الثياب خضر تبسط. الواحد: رَفْرَفة»(١).

وقال أبو إسحاق: «قالوا الرفرف ها هنا: رياض الجنَّة، وقالوا: الرفرف: الوسائد، وقالوا: الرفرف: المحابس، وقالوا: فضول المحابس للفرش». وقال المبرد: «هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره».

قلتُ: أصل هذه الكلمة من الطَّرَف والجانب، فمنه: الرَّفُّ في الحائط. ومنه: الرفرف، وهو كسر الخباء، وجوانب الدرع، وما تدلَّىٰ منها، الواحدة رفرفة.

والرفرف: ثياب خضر تُتَّخَذُ منها المحابس، الواحدة رفرفة. وكل ما فضل من شيء فثُنِيَ وعُطِفَ فهو رفرف، وفي حديث ابن مسعود في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قال: «رأىٰ رفرفًا أخضر سدَّ الأُفق»(٢). وهو في «الصحيحين».

١/ ٤٤٨

فصل

العبقري اسم لكل ما بولغ في وصفه

وأمَّا العَبْقَرِيُّ: فقال الليث: «عبقر: موضع بالبادية كثير الجن، يقال: كأنَّهم جنُّ عبقر»(٣). وقال أبو عبيد في حديث النَّبي ﷺ حين ذكر عمر: «فلَمْ أرَ عبقريًّا يفرِي فَرِيَّه»(٤) وإنَّما أصلُ هذا فيما يقال: إنَّه نُسِبَ إلىٰ عبقر، وهي أرضٌ يسكنها

(١) انظر: «العين» (ص: ٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦١، ٤٥٧٧)، ولم يخرجه مسلم في «صحيحه».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٢٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث عبد الله بن عمر ﵄.

الجنُّ، فصارَ مثلًا منسوبًا إلىٰ شيء رفيعٍ»(١).

قال أبو الحسن الواحدي: «وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أنَّ العربَ إذا بالغتْ في وصف شيءٍ نَسَبَتْهُ إلىٰ الجنِّ، أو شَبَّهته بهم، وذلك أنَّهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة، وأنَّهم يأتون بكلِّ أمرٍ عجيبٍ، ولمَّا كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كلَّ شيءٍ مبالغٍ فيه إليها، يريدون بذلك أنَّه من عملهم وصنعهم. هذا هو الأصل، ثمَّ صار العبقري اسمًا ونعتًا لكلِّ ما بُولِغَ في صفته.

وقال قتادة: «هي عتاق الزَّرابي»(٢)، وقال مجاهد: «الديباج الغليظ»(٣).

وتأمَّل كيف وصَفَ سبحانه وتعالىٰ الفُرش بأنَّها مرفوعة، والزرابي بأنَّها مبثوثة، والنمارق بأنَّها مصفوفة، فرفْعُ الفرش دالٌ علىٰ سُمْكِهَا ولينها، وبثُّ الزرابي دالٌّ علىٰ كثرتها، وأنَّها في كل موضع لا يختصُّ بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصفُّ المساند، يدلُّ علىٰ أنَّها مهيأة للاستناد إليها دائمًا، ليست مُخَبَّأة تُصَفُّ في وقتٍ دون وقتٍ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٨٧ - ٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٦٤)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٦٧) (٣٤٠٧٥) وسنده لا بأس به.

١/ ٤٥٣

الباب الحادي والخمسون

في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم[1]

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوَّفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمنُ فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**».

وفي لفظٍ لهما: «**في الجنَّة خيمةٌ من لؤلؤةٍ مجوفة، عرضها ستون ميلًا في كلِّ زاوية منها أهلٌ، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**».

وفي لفظٍ آخر لهما أيضًا: «**الخيمة دُرَّة طُولها في السماء ستون ميلًا، في كلِّ زاوية منها أهل، لا يراهم الآخرون**».

وللبخاري وحده في لفظ: «**طُولُها ثلاثون ميلًا**».

وهذه الخيام غير الغُرَفِ والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلى شواطئ الأنهارِ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ قال: «**دُرٌّ مُجوَّف**»[3].

---

(١) جمع بشخانة: وهي كلمة فارسية معرَّبة، مركَّبة من بشه: أي البعوض، ومن خانه: أي البيت، والمعنىٰ بيت البعوض، وهي الكِلَّة التي تسمِّيها العامة «ناموسية»: «وهي غثاء رقيق يخاط كالبيت، يتوقَّىٰ به من البعوض. انظر: «المعجم العربي» لأسماء الملابس (ص: ٦٦)، و«معجم عطيَّة في العامي والدخيل» (ص: ١٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٨)، ومسلم (٢٨٣٨) - (٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦١): من طريق شعبة به مثله.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: «الخيمة لؤلؤةٌ واحدةٌ لها سبعون بابًا كلُّها من دُرَّةٍ»(١).

وأمَّا السُّرَر: فقال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٣-١٦] وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣].

فأخبر تعالىٰ عن سُرُرِهم بأنَّها مصفوفة بعضها إلىٰ جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيدًا من بعض.

وأخبر أنَّها موضونة، والوَضْن في لغتهم: النضد والنسج المضاعف، وموضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة، بعضها علىٰ بعض، كما تُوضن حلق الدرع، منسوجة بقضبان الذهب مشبَّكة بالدرِّ والياقوت والزبرجد.

وعن ابن عباس ﷺ: «موضونة: مصفوفة»(٢).

وأخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّها مرفوعة، قال عطاء عن ابن عباس ﷺ قال: «سرر من ذهب، مكلَّلة بالزبرجد والدُّرِّ والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة»(٣).

فصل

١/ ٤٦٠

الأريكة اسم للسرير وفراشه والحجلة التي فوقه

وأمَّا الأرائك: فهي أجمع أريكة. عن ابن عباس ﷺ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف:٣١]، قال: «لا يكون أريكة حتىٰ يكون السرير في الحَجَلة(٤)، فإنْ كان سريرًا

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» -رواية نُعيم- (٢٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٧٣)، وسنده حسن.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٤٧).

(٤) الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب وتكون له أزرار كبار. «النهاية»، لابن الأثير (١/ ٣٤٦).

بغير حَجَلة لا يكون أريكة، وإن كانت حَجَلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلَّا والسرير في الحجلة، فماذا اجتمعا كانت أريكة»(١).

قلتُ: ها هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: السرير.

الثانية: الحجلة، وهي البشخانة التي تعلق فوقه.

الثالث: الفراش الَّذي علىٰ السرير، ولا يسمَّىٰ السرير أريكة، حتىٰ يجمع ذلك كله.

وفي «الصحاح»: «الأريكة: سريرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيَّن في قُبَّةٍ أو بيتٍ، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة، والجمع الأرائك»(٢).

وفي الحديث: «أنَّ خاتم النَّبي ﷺ كان مثل زرِّ الحَجَلة»(٣). وهو الزِّرُّ الَّذي يُجمع به بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

١/ ٤٦٣

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة:١٧-١٨].

قال أبو عبيدة والفرَّاء: «مخلَّدون لا يهرمون، ولا يتغيرون، قال: والعربُ تقول للرجل إذا كَبُرَ ولم يشمط: إنَّهُ لمخلَّد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكِبَر، قيل: هو مخلَّد»(٤).

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٣٤).

(٢) انظر: «الصحاح» (٢/ ١١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧)، ومسلم (٢٣٤٥) من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٢ - ١٢٣).

وقال آخرون: مُخلَّدون: مُقَرَّطُون مُسَوَّرُون، أي في آذانهم القِرَطَة، وفي أيديهم الأساور.

وهذا اختيار ابن الأعرابي، قال: مخلَّدون: مُقَرَّطون بالخَلَدة، وجمعها خَلَدٌ، وهي: القِرَطَة[1].

واحتجَّ هؤلاء بأنَّ الخلود عامٌّ لكلِّ من في الجنَّة، فلا بُدَّ أنْ يكون الوِلدان موصوفين بتخليدٍ يختصُّ بهم، وذلك هو القِرَطة.

وقال الأوَّلون: الخُلْد هو البقاء. قال ابن عباس: «غلمان لا يموتون»[2].

وقول ترجمان القرآن في هذا كافٍ، وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل.

وجمعتْ طائفة بين القولين، وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكِبَر ولا الهرم، وفي آذانهم القِرَطة، فمن قال: مقرَّطون. أراد هذا المعنىٰ، أنَّ كونهم ولدانًا أمرٌ لازمٌ لهم.

وشبَّههم سبحانه باللؤلؤ المنثور، لما فيه من البياض وحسن الخلق، وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة علىٰ أنَّهم غير معطَّلين، بل مَبْثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أنَّ اللؤلؤ إذا كان منثورًا، ولا سيما علىٰ بساط من ذهبٍ أو حرير؛ كان أحسن لمنظره وأبهىٰ من كونه مجموعًا في مكان واحد.

وقد اختلف في هؤلاء الوِلْدان: هل هم مِنْ وِلْدان الدنيا، أم أنشأهم اللهُ في الجنَّة إنشاء؟ علىٰ قولين:

فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري: هم أولاد المسلمين الَّذين

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ١٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٤/ ٢٣٣).

يموتون، ولا حسنةَ لهم ولا سيئة، يكونون خدم أهل الجنَّة وولدانهم، إِذِ الجنَّة لا وِلادة فيها(١).

ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، يجعلهم اللهُ خَدَمًا لأهل الجنَّة.

والأشبه أنَّ هؤلاءِ الولدان مخلوقون من الجنَّة -كالحور العين- خَدَمًا لهم وغِلْمَانًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإنَّ من تمام كرامة اللهُ تعالىٰ لهم أنْ يجعل أبناءهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلمانًا لهم.

والمكنون: المستور المصون الَّذي لم تبتذله الأيدي.

١/ ٤٧٠

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نسائهم وسراريِّهم، وأصنافهنَّ وحسنهنَّ وأوصافهنَّ وجمالهنَّ الظاهر والباطن الَّذي وصفهنَّ اللهُ تعالى به في كتابه

قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

والأزواج: جمع زوج، والمرأة: زوجُ الرجل، وهو زوجها، هذا هو الأفصحُ، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ومن العربِ من يقول: زوجة، وهو نادرٌ، لا يكادون يقولونه.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٠٣).

وأمَّا المطهرة: وإنْ جرتْ صفةً علىٰ الواحد، فتجري صفة علىٰ جمع التكسير إجراءً له مجرىٰ جماعة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الصف:١٢]، و ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سبأ:١٨]. ونظائره، والمطهرة: التي طُهِّرت من الحيضِ والبول والنفاس، والغائط والمخاط والبُصاق، وكل قَذَر، وكلِّ أذًىٰ يكون من نساء الدنيا، وطُهِّرَ مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلىٰ غير زوجها، وطهرت أثوابها من أنْ يعرض لها دنسٌ أو وسخٌ.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥١-٥٦].

والحُوْرُ: جمع حَوْراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين.

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة:

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحور في كلام العرب: البيض»[1].

وقال مجاهد: «الحور العين، التي يحار فيهن الطرف باديًا مخُّ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرىٰ الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون»[2].

---

(١) أخرجه عبد الملك بن حبيب في وصف الفردوس (٢٤١)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ١٣٦)، وسنده حسن.

وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض. والتحوير: التبييض.

والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحَوَرِ في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين.

والحَوَرُ في العين: معنىً يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر.

وعينٌ حوراء: إذا اشتدَّ بياضُ أبيضِها وسواد أسودها، ولا تسمىٰ المرأة حوراء حتىٰ تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد.

والعِيْنُ: جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء.

والصحيح: أنَّ العِيْنَ اللاتي جَمَعَتْ أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل: «العين: حسان الأعين»[1].

فصل

١/ ٤٧٧

التزويج يدل على النكاح، وعلى الاقتران والضم

وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

قال أبو عبيدة: «جعلناهم أزواجًا كما يزوج النعل بالنعل، جعلناهم اثنين اثنين»[2].

قال يونس: «قرنَّاهم بهن، وليس من عقد التزوج، قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها، وإنما تقول تزوجتها»[3].

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٣) انظر: «المخصَّص» لابن سيده (١/ ٣٥٨).

وقال ابن سلَّام: «تميم تقول: تزوجت امرأةً، وتزوجت بها» وحكاه الكسائي أيضًا.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا، فلفظ التزويج: يدل علىٰ النكاح، كما قال مجاهد: «أنكحناهم الحور»[١]، ولفظ الباء: يدل علىٰ الاقتران والضم، وهذا أبلغ من حذفها، والله أعلم.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. [الرحمن:٥٦-٥٨].

وصفهنَّ سبحانه بِقِصَرِ الطرف في ثلاثة مواضع:

أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالىٰ في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [آية:٤٨].

والثالث: قوله تعالىٰ في ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [آية:٥٢].

والمفسرون كلهم علىٰ أنَّ المعنىٰ: قَصَرْنَ طرفهنَّ علىٰ أزواجهنَّ، فلا يطمحن إلىٰ غيرهم. وقيل: قصرن طرف أزواجهنَّ عليهنَّ، فلا يدعهم حسنهنَّ وجمالهنَّ أنْ ينظروا إلىٰ غيرهنَّ.

وهذا صحيح من جهة المعنىٰ، وأمَّا من جهة اللفظِ: فقاصرات: صفة مضافة إلىٰ الفاعل، كحسان الوجوه، وأصله: قاصرٌ طرفهنَّ، أي: ليس بطامحٍ متعدٍّ.

وأمَّا الأتراب: فجمع تِرْب[٢]: وهو لِدَة[٣] الإنسان.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ١٣٦)، وسنده حسن.

(٢) التِّرْبُ: المماثل في السنِّ، «المعجم الوسيط» (ص: ١٠٣).

(٣) اللِّدَة: مَنْ ولد معك في وقتٍ واحد. «المعجم الوسيط» (ص: ٨٥٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما وسائر المفسرين: «مستويات علىٰ سنٍّ واحدةٍ وميلادٍ واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة»(١).

قال أبو إسحاق: «أي: هنَّ في غاية الشباب والحُسن، وسَمِّي سنَّ الإنسان وقرنه تِرْبه؛ لأنَّه مسَّ تراب الأرض معه في وقتٍ واحدٍ، والمعنىٰ من الإخبار باستواء أسنانهنَّ، أنَّهنَّ ليس فيهنَّ عجائز قد فات حسنهنَّ، ولا ولائد لا يُطِقْنَ الوطَء بخلاف الذكور، فإنَّ فيهم الولدان: وهم الخدم.

وقد اختلف في تفسير الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾:

فقالت طائفة: تفسيره الجنتان، وما حوتاه من القصور والغرف والخيام.

وقالت طائفة: تفسيره الفرش المذكورة في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، و (في) بمعنىٰ: علىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].

قال المفسرون: لم يطأهنَّ، ولم يغشهنَّ، ولم يجامعهنَّ. هذه ألفاظهم، وهم مختلفون في هؤلاء: فبعضهم يقول: هنَّ اللواتي أُنشِئن في الجنَّة من حورها، وبعضهم يقول: يعني نساء الدنيا، أُنْشِئنَ خلقًا آخر أبكارًا كما وصفهنَّ.

قلتُ: ظاهر القرآن أنَّ هؤلاء النِّسوة لسن من نساء الدنيا، وإنَّما هنَّ من الحُوْر العين، أمَّا نساء الدنيا فقد طَمِثَهنَّ الإنس، ونساء الجن قد طَمِثهنَّ الجن، والآية تدل علىٰ ذلك.

قال أبو إسحاق: «وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ الجِنِّيَّ يَغْشَىٰ، كما أنَّ الإنْسِيَّ يَغْشَىٰ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٨)، وسنده ضعيف.

(٢) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ١٢٢).

وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور، أنَّ مؤمني الجنِّ في الجنَّة، كما أنَّ كافرهم في النَّارِ. وبوَّب عليه البخاري في «صحيحه» فقال: «بابُ ثوابِ الجن وعقابهم»(١).

ونصَّ عليه غير واحدٍ من السَّلف.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨].

قال الحسنُ وعامَّة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبَّههن في صفاء اللَّون وبياضه بالياقوت والمرجان»(٢).

فصل

١/ ٤٨٦

المقصورات هن المحبوسات على أزواجهن

وقال تعالىٰ في وصفهنَّ: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]. المقصورات: المحبوسات.

وفيه معنىٰ آخر: وهو أن يكون المراد: أنهن محبوسات علىٰ أزواجهن، لا يردن غيرهم، وهم في الخيام.

قلتُ: وهذا معنىٰ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الصافات:٤٨] لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهؤلاء مقصورات، ولا يلزمُ من ذلك أنَّهنَّ لا يفارقن الخيام إلىٰ الغرف والبساتين، كما أنَّ نساء الملوك وذويهم من النساء المخدَّرات المصونات، لا يمتنع أنْ يخرجن في سَفَرٍ وغيره إلىٰ مُتَنَزَّهٍ وبستانٍ ونحوه، فوَصْفُهنَّ اللَّازم لهنَّ: القصرُ في البيت، ويعرض لهنَّ مع الخدم الخروج إلىٰ البساتين ونحوها.

---

(١) في كتاب بدء الخلق، (٣/ ١٢٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٢)، وسنده صحيح.

وقد تقدم وصف النسوة الأُوَل، بكونهنَّ قاصرات الطرف، وهؤلاء بكونهنَّ مقصورات، والوصفان لكلا النوعين، فإنَّهما صفتا كمالٍ، فتلك الصفة: قَصْرُ الطرف عن طموحه إلىٰ غير الأزواج، وهذا الصفة قصر الرِّجْل عن التبرج والبروز والظهور للرجال.

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠].

فالخيرات جمع خَيْرَةٍ، وهي مُخَفَّفة من خيِّرة، كَسَيِّدة ولَيِّنة. وحسان: جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه.

فصل

١/ ٤٨٨

الحور العين خلقن في الجنة

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٨].

أعاد الضمير إلىٰ النساء، ولم يَجْرِ لهنَّ ذكر؛ لأن الفرش دلت عليهن، إذ هي محلهن.

وقيل: الفرش، في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]: كناية عن النساء، كما يكنىٰ عنهن بالقوارير والأزر وغيرها.

ولكن قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: يأبىٰ هذا، فالصواب أنها الفرش نفسها، ودلت علىٰ النساء: لأنها محلَّهنَّ غالبًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يريد نساء الآدميات»[1]، وقال الكلبي ومقاتل: «يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط» يقول تعالىٰ: خلقناهن بعد الكبر والهرم، بعد الخلق

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣).

الأوَّل في الدنيا»(١).

ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: «هن عجائزكم العُمْش الرمص»(٢).

وعن عائشة ﵂: «أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فذهب نبي الله ﷺ فصلىٰ ثم رجع إلىٰ عائشة فقالت عائشة: لقد لَقِيَتْ من كلمتك مشقة وشِدَّة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن ذاك كذاك، إن الله تعالىٰ إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا**»(٣).

وذكر مقاتل قولًا آخر -وهو اختيار الزجاج- أنهن الحور العين التي ذكرهن.

«قيل: أنشأهن الله ﷻ لأوليائه لم يقع عليهن ولادة».

والظاهر أن المراد به أنشأهن الله تعالىٰ في الجنة إنشاء، ويدل عليه أنه قد قال في حقِّ السَّابقين: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:١٧-٢٣].

فذكر سُرُرَهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين، ثمَّ ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، فالظاهر: أنَّهنَّ مثلُ نساءِ مَنْ قبلهم خُلِقنَ في الجنَّة.

وقوله تعالىٰ: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب: وهنَّ المتحبِّبات إلىٰ أزواجهنَّ.

قال ابن الأعرابي: «العَرُوب من النساء: المطيعة لزوجها المتحبِّبَة إليه»(٤).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، وضعفه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٥٤) (٥٥٤٥).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٢٣٨٠).

وذكر المفسرون في تفسير العُرُب: أنَّهن العواشق المتحببات الغَنِجَات الشَّكِلات المتعشقاتِ الغَلِمَاتُ المَغْنُوجاتُ، كلُّ ذلك من ألفاظهم.

قلتُ: فجمع سبحانه وتعالىٰ بين حُسْن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذَّة الرَّجلِ بِهِنَّ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦] إعلام بكمال الَّلذة بهنَّ، فإنَّ لذَّة الرجلِ بالمرأةِ التي لم يطأها سواهُ، لها فضل علىٰ لذَّته بغيرها، وكذلك هي أيضًا.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٣].

فالكواعب: جمع كاعب، وهي: النَّاهد. وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أنَّ ثديهنَّ نواهد كالرُّمان ليست متدليَّة إلىٰ أسفل، ويُسَمَّيْن نواهد وكواعب.

فصل

١/ ٤٩٦

الأحاديث الواردة في عدد زوجات الرجل في الجنة

روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لَغَدْوةٌ في سبيل اللهِ أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوسِ أحدكم أو موضع قِيْدِهِ -يعني: سوطهِ- من الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعت امرأةٌ من نساء أهل الجنَّة إلىٰ الأرضِ لملأت ما بينهما ريحًا، ولأضاءتْ ما بينها، ولنصيفها علىٰ رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»**.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ: **«إنَّ أوَّل زُمرةٍ تدخل الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ، والتي تليها علىٰ أضواِءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في**

(١) رقم (٢٦٤٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٧).

السَّماءِ، ولكلِّ امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا من وراء اللحم، وما في الجنَّة أعزب».

وعن أبي سعيد ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة، الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء**». رواه الترمذي[١].

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلمُؤمن في الجنَّة ثلاثٌ وسبعون زوجة**»، فقلنا يا رسول اللهِ أَوَ له قُوَّة ذلك؟ قال: «**إنَّه ليُعْطَىٰ قوَّة مئة**»[٢].

فصل

١/ ٥٠٤

للمؤمن أكثر من زوجتين في الجنة

والأحاديث الصحيحة إنَّما فيها «**أنَّ لكلِّ منهم زوجتين**»[٣]، وليس في «الصحيح» زيادة علىٰ ذلك، فإنْ كانت هذه الأحاديث محفوظة:

فإمَّا أنْ يُراد بها ما لكلِّ واحدٍ من السراري زيادة علىٰ الزوجتين، ويكونون في ذلك علىٰ حسب منازلهم في القِلَّة والكثرة كالخدمِ والولدان.

وإمَّا أنْ يُرادَ أنَّه يعطىٰ قوَّة من يُجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواهُ بعض هؤلاء بالمعنىٰ فقال: له كذا وكذا زوجة.

وقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث قتادة عن أنس ﵁ عن النَّبي ﷺ قال: «**يُعطىٰ المؤمنُ في الجنَّة قوَّة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول اللهِ أَوَ يطيقُ**

---

(١) رقم (٢٥٦٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ٢١٣) (٣٧٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٨٧).

ذلك؟ قال: يعطى قوَّة مئة»[١].

ولا ريبَ أنَّ للمؤمن في الجنَّة أكثر من اثنتين، لِمَا في «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن قيس قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**إنَّ للعبدِ المؤمنِ في الجنَّة لخيمةً من لؤلؤةٍ مجوَّفةٍ طولها ستون ميلًا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضًا**».

١/ ٥٠٧

الباب الرَّابع والخمسون

في ذكر المادَّة التي خلق منها الحور العين وما ذِكر فيها من الآثار وذكر صفاتهنَّ ومعرفتهنَّ اليوم بأزواجهنَّ

فأمَّا المادَّة التي خلق منها الحور العين:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**الحورُ العينِ خُلِقْنَ من الزعفران**»[٣].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**خُلِقَ الحورُ العين من الزعفران**»[٤].

قلتُ: وقد رواهُ إسحاق بن راهويه عن مجاهد، فذكره موقوفًا عليه، وهو أشبه بالصواب.

ورواهُ عُقبة بن مُكْرَم عن ابن عباس قوله.

ولا يصح رفع الحديث، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣٦)، وصححه الترمذي وابن حبان (٧٤٠٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٣٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعثِ والنشور» (٣٩١)، وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٩٥) (٢٨٨)، والحديث ضعيف.

وهذا مروي عن صحابيين وهما: ابن عباس وأنس، وعن تابعيين: وهما أبو سلمة ومجاهد، وبكلِّ حالٍ فهنَّ من المنشآت في الجنَّة، لسْنَ مولودات بين الآباء والأمهات، واللهُ أعلم.

وإذا كانت هذه الخِلْقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها، مادَّتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظنُّ بصورةٍ مخلوقةٍ من مادة الزعفران الَّذي هناك! فالله المستعان.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**سطع نورٌ في الجنَّة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا هوَ من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**»(١).

وقد رُويَ في مادة خلقهن صفة أخرىٰ: عن ابن عباس قال: «**إنَّ في الجنَّة نهرًا يقال له البيذخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوارٍ ناشئاتٍ يقول أهل الجنَّة: انطلقوا بنا إلىٰ البيذخ، فيجيئون فيتصفَّحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلًا منهم جارية مسَّ مِعْصَمَهَا فتتبعه**»(٢).

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلَّا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ اللهُ، فإنَّما هو عندك دخيل يوشك أنْ يفارقك إلينا**»(٣).

وقال ربيعة بن كلثوم: «نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: يا معشر

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨١)، وضعفه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧٠)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٢)، والترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وصححه الذهبي في «السير» (٤/ ٤٧).

الشباب، أما تشتاقون إلىٰ الحور العين؟»[١].

١/ ٥١٧

الباب الخامس والخمسون

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذَّةٍ، ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنَّه لا يُوجبُ غُسلًا

قد تقدم حديث أبي موسىٰ المتفق علىٰ صحته: «**إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، لهُ فيها أهلون يطوف عليهم**»[٢].

وحديث أنس: «**يعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**»[٣] وصححه الترمذي.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: يا رسول الله أنطأ في الجنَّة؟ قال: نعم والَّذي نفسي بيده دَحْمًا دَحْمًا[٤]، فإذا قام عنها رجعت مطهَّرةً بكرًا»[٥].

وعن أبي أُمامة أنَّ رسول اللهِ ﷺ سُئِلَ: أيجامعُ أهلُ الجنَّة؟ قال: «**دَحْمًا دَحْمًا، ولكن لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة**»[٦].

وقوله: «**لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة**» أي: لا إنزال ولا موت.

وعن عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١٥)، وسنده صحيح.

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٣٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ١٥١).

(٤) دَحْمًا: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج، والتكرار للتأكيد. انظر: «النهاية» (٢/ ١٠٦).

(٥) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٤١٥ و ٤١٦) (٧٤٠٢)، وصححه.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١١٣) (٧٤٧٩)، والحديث ضعيف جدًّا.

قال: «في افتضاض الأبكار»[١].

وعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: «شُغْلُهم افتضاض العَذَارَىٰ»[٢].

ولا يلحقهم بذلك جَنَابة، فيحتاجون إلىٰ التَّطهير، ولا ضعف ولا انحِلال قوَّةٍ، بل وطؤهم وطءُ التذاذٍ ونعيم، لا آفة فيه بوجهٍ من الوجوه». وأكملُ النَّاسِ فيه أصونهم لنفسه في هذه الدَّارِ عن الحرامِ، فكما أنَّ من شربَ الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبسَ الحرير في الدنيا لم يَلْبسْهُ في الآخرة، ومَنْ أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النَّبي ﷺ: «**إنَّها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»[٣].

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمَها هناك، كما نعى سبحانه وتعالى على من أذْهَبَ طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة - ومن تبعهم - يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد، عن جابر بن عبد اللَّه: «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم، فقال: ما هذا؟ قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أوكلما اشتهى أحدكم شيئًا اشتراه! أما سمعت اللَّه تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][٤].

فمن ترك اللذة المحرمة للَّه استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها ها هنا حُرِمَها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل اللَّه لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذة من ترك شهوته للَّه أبدًا، واللَّه أعلم.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٠١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧ - ١٨)، وسنده حسن.

(٣) تقدم تخريجه (ص: ١٢٩).

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٥١).

١/ ٥٢٧

الباب السادس والخمسون

في اختلاف الناس هل في الجنة حَمْلٌ وَوِلادة أم لا؟

قال الترمذي في «جامعه»: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنُّه في ساعةٍ، كما يشتهي**»(١).

قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريب». وقد اختلفَ أهل العلم في هذا:

فقال بعضهم: في الجنَّة جماع، ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي(٢).

وقال محمد -يعني البخاري-: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النَّبي ﷺ: «**إذا اشتهىٰ المؤمن الولدَ في الجنَّة كان في ساعة كما يَشتهي**» ولكن لا يشتهي. قال محمد: وقد روي عن أبي رَزِين العُقَيلي عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة لا يكون لهم فيها ولد**». انتهىٰ كلام الترمذي.

قلتُ: إسناد حديث أبي سعيد علىٰ شرط الصحيح، فرجاله محتج بهم فيه؛ ولكنَّه غريب جدًّا، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنَّه قال: «إذا اشتهىٰ المؤمنُ الولد. فـ «إذا» للمُتَحَقِّقِ الوقوع، ولو أُرِيد ما ذكره من المعنىٰ لقال: لو اشتهىٰ المؤمن الولد لكان حمله في ساعة، فإنَّ ما لا يكون أحقَّ بأداة «لو» كما أنَّ المحقَّقَ الوقوع أحقُّ بأداةِ «إذا».

وأمَّا حديث أبي رَزِين الَّذي أشارَ إليه البخاري فهو حديثه الطويل، وفيه:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٤٣٣٨)، وأحمد (٣/ ٩ و٨٠)، وصححه ابن حبان (٧٤٠٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٥ - ١٧٦).

قال: «الصالحات للصالحين، تلذوا بهنَّ مثل لذَّاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أنْ لا توالد»[١].

قال نُفَاةُ الإيلاد: فهذا حديث صريحٌ في انتفاء الولد، وقوله: «إذا اشتهىٰ» معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المُعَلَّق ولا المعلق به، و«إذا» وإنْ كانت ظاهرةً في المحقَّق، فقد استعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقَّق وغيره.

قالوا: وفي هذا الموضع يتعيَّن ذلك لوجوهٍ:

أحدها: حديث أبي رَزِين هذا.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، وهُنَّ اللَّاتي طُهِّرنَ من الحيض والنفاس والأذىٰ.

الثالث: قوله: «**غيرَ أنَّهُ لا مَنِي ولا مَنِيَّة**» وقد تقدم[٢]، والولد إنَّما يخلق من ماء الرجل، فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرَّابع: أنَّه سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم[٣] بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[٤]﴾ [الطور:٢١]. فأخبر سبحانه أنَّه يكرمهم بإلحاق ذُرِّياتهم الَّذين كانوا لهم في الدنيا، ولو كان ينشئ لهم في الجنَّة ذُرِّية أخرىٰ، لذكرهم كما ذكر ذريتهم الَّذين كانوا في الدنيا؛ لأنَّ قُرَّة عيونهم كانت تكون بهم، كما كانت بذرياتهم من أهل الدنيا.

الخامس: أنَّ الجنَّة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها

---

(١) تقدم الكلام عليه (ص: ٥٢-٥٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٥٤).

(٣) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء، وقرأ الجمهور بالإفراد ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

(٤) هكذا قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، انظر: المصدر السابق.

ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، ولو كان في الجنَّة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتىٰ يصير رجلًا، ومعلوم أنَّ من ماتَ من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نموٍّ، والله تعالىٰ أعلمُ.

فهذا ما في هذه المسألة.

وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجودُ أسانيده إسنادُ الترمذي، وقد حكم بغرابته، وقد اضطرب لفظه: فتارةً يروىٰ عنه: «إذا اشتهىٰ الولد»، وتارة: «إنَّه ليشتهي الولد»، وتارةً: «إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليولد له» فالله أعلمُ، فإنْ كان رسول الله ﷺ قد قاله، فهو الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها، ولا تُناقِضُ حديث أبي رزين «غيرَ أنْ لا توالد»

إذ ذلك نفيٌ للتوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادةً، حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعةٍ واحدة.

فهذا ما انتهىٰ إليه عِلْمنا القاصر في هذه المسألة، ولقد أتينا فيها بما لعلَّك لا تجده في غير هذا الكتاب، والله أعلمُ بالصواب.

١/ ٥٤٣

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنَّة وغناء الحور العين وما فيه من الطَّرَبِ واللَّذة

قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم:١٤-١٥].

عن يحيىٰ بن أبي كثير في قوله: ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ قال: «السماع في الجنة»(١).

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: «يُكْرَمُون»(٢). وقول مجاهد، وقتادة: «ينعمون»(٣) فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذي: عن عليٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبىٰ لمن كان لنا وكنا له**»(٤).

«وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث علي: حديث غريب».

قلت: وفي الباب عن ابن أبي أوفىٰ، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر أيضًا.

فأما حديث أبي هريرة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن في الجنة نهرًا طول الجنة، حافتاه العذارىٰ قيام متقابلات، ويغنين بأصوات حتىٰ يسمعها الخلائق، ما يرون في الجنة لذة مثلها، قلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء علىٰ الرب عز وجل»(٥).

وأما حديث أنس: فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحور يغنين في الجنة: نحن الحور الحسان، خلقنا لأزواج كرام**»(٦).

وأما حديث ابن أبي أوفىٰ: فعن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يزوج إلىٰ كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أَيِّم، ومئة حوراء،**

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨)، عن مجاهد بسند حسن. وعن قتادة بسندٍ صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٦٤) و (٢٥٥٠)، وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعثِ» (٤٢٥)، وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٤٣٢)، وسنده ضعيف.

فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان، لم تسمع الخلائق بمثلهنَّ: نحن الخالداتُ فلا نبيد، ونحن النَّاعمات فلا نبأس، ونحن الرَّاضياتُ فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبىٰ لمن كان لنا وكُنَّا له»[(١)].

وأمَّا حديث أبي أُمامة: فعن أبي أُمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يدخلُ الجنَّة، إلَّا ويجلسُ عندَ رأسِهِ وعند رجليهِ ثنتان من الحُورِ العينِ، تُغنِّيانه بأحسن صوتٍ سَمعهُ الإنس والجنُّ، وليس بمزامير الشَّيطانِ»[(٢)].

وأمَّا حديث ابن عمر: فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إنَّ أزواج أهل الجنَّة ليُغنِّين أزواجهنَّ بأحسنِ أصواتٍ سمعها أحدٌ قطُّ، وإنَّ ممَّا يغنين به: نحنُ الخيراتُ الحِسَانُ، أزواجُ قومٍ كرامٍ، ينظرن بقُرَّةِ أعيان، إنَّ مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نُمتْنَه، نحنُ الآمناتُ فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنَّه»[(٣)].

١/ ٥٥١

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا

عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أينَ الَّذين كانوا ينزَّهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللَّهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياضَ المسكِ، ثمَّ يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي»[(٤)].

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٧٨، ٤٣١)، والحديث فيه نكارة.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٢١)، والحديث ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ٣٥) (٧٣٤)، وفي «الأوسط» (٣/ ٣٩١) (٣٩١٧)، والحديث ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٦٩)، وسنده صحيح.

عن مالك بن دينار في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥] قال: «إذا كان يوم القيامة أمرَ بمنبرٍ رفيعٍ فوضِع في الجنَّة، ثمَ نودي: يا داود مجِّدْني بذلك الصوت الحَسَنِ الرخيم الَّذي كنتَ تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾»(١).

عن ابن عباس قال: «**في الجنَّة شجرة علىٰ ساق قدر ما يسير الرَّاكبُ في ظلِّها مئة عام، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، فيذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنَّة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا**»(٢).

فصل

١/ ٥٥٤

ألذ سماع لأهل الجنة هو سماع كلام الله تعالى

ولهم سماع أعلىٰ من هذا يضمحل دونه كلُّ سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جلَّ جلاله، وخِطَابه وسلامه عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنَّهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمرُّ بك - أيها السُّنِّيُّ - من الأحاديث الصِّحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذه لأذنك، وأقرِّهِ لعينك، إذ ليس في الجنَّة لذَّةٌ أعظمُ من النظر إلىٰ وجه الرَّبِّ تعالىٰ، وسماعِ كلامه منه، ولا يُعْطَىٰ أهل الجنَّة شيئًا أحبَّ إليهم من ذلك.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٤٣)، والأثر صحيح عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٦٦)، وسنده ضعيف.

١/ ٥٥٦

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنَّة وخيولهم ومراكبهم

عن سليمان بن بُريدة عن أبيه: أنَّ رجلًا سأل النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله: هل في الجنَّة من خيل؟ قال: «**إنِ اللهُ أدخلك الجنَّة فلا تشاءُ أن تُحمل فيها علىٰ فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنَّة حيث شئت إلَّا فعلت**»، قال: وسأله رجل، فقال: يا رسول الله! هل في الجنَّة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه، قال: «**إنْ يدخلك اللهُ الجنَّة يكن لك فيها ما اشتهت نفسُك ولذَّت عينُك**»[1].

وعن أبي أيوب قال: أتىٰ النَّبي ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله إنِّي أحبُّ الخيل أفي الجنة خَيْلٌ؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن أدخلت الجنَّة أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ له جناحان فحملت عليه، ثمَّ طار بك حيث شئت**»[2].

وعن جابر بن عبد الله ﭭ، عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة جاءتهم خيولٌ من ياقوت أحمر، لها أجنحةٌ، لا تروث ولا تبول فقعدوا عليها، ثمَّ طارت بهم في الجنَّة**»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٣)، والحديث ضعيف. انظر: «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٢١٥) (٢١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٤٤)، وهو ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٤٢٩)، وهو ضعيف جدًّا.

١/ ٥٦٢

الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

أخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّ أهل الجنَّة أقبل بعضهم علىٰ بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلىٰ أنْ قال قائلٌ منهم: كان لي قرينٌ في الدنيا ينكر البعث والدَّار الآخرة، ويقول ما حكاهُ اللهُ عنه، يقول: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بأنَّا نُبعث ونُجازىٰ بأعمالنا، ونُحاسبُ بها بعد أنْ مَزَّقَنَا البِلَىٰ، وكُنَّا تُرابًا وعظامًا، ثمَّ يقول المؤمنُ لإخوانه في الجنَّة: هل أنتم مطلعون في النَّارِ لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

هذا أظهرُ الأقوالِ، وفيها قولان آخران:

أحدهما: أنَّ الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الَّذين يحدث بعضهم بعضًا: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤].

رواهُ عطاء عن ابن عباس[1].

والثاني: أنَّه من قول الله ﷻ لأهل الجنَّة يقول لهم: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

والصحيح القول الأوَّل، وأنَّ هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه.

---

(١) لم أقف عليه. وذكر هذا القول القرطبي في «الجامع» (١٥/ ٨٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥-٢٨].

وعن أبي أُمامة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيتزاورُ أهل الجنَّة؟ قال: «**يزور الأعلىٰ الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلىٰ، إلَّا الَّذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا علىٰ النُّوق محتقبين الحشايا**»(١).

وعن أبي أيوب يرفعه: «**إنَّ أهل الجنَّة يتزاورون علىٰ النجائب**».

فأهلُ الجنَّة يتزاورون فيها، ويستزيرُ بعضهم بعضًا، وبذلك تَتِمُّ لذَّتُهم وسرورهم، ولهذا قال حارثة للنَّبي ﷺ وقد سألهُ: «**كيف أصبحتَ يا حارثة؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا، قال: «**إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزَفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلىٰ عرش ربي بارزًا، وإلىٰ أهل الجنَّة يتزاورون فيها، وإلىٰ أهل النَّارِ يُعَذَّبون فيها، فقال: «**عبدٌ نوَّر اللهُ قلبَه**»(٢).

وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: فيشتاقُ الإخوان بعضهم إلىٰ بعض، فيسير سريرُ هذا إلىٰ سرير هذا، وسرير هذا إلىٰ سرير هذا، حتَّىٰ يجتمعا جميعًا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلمُ متىٰ غفر اللهُ لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كُنَّا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٦) (٧٩٣٦)، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٩٠)، والحديث ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٤٥)، والحديث ضعيف.

فصل

١/ ٥٧٠

ولهم زيارةٌ أخرىٰ أعلىٰ من هذه وأجلُّ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالىٰ، فيريهم وجهَه، ويُسْمعهم كلامَه، ويحلُّ عليهم رضوانه. أجلّ زيارة لأهل الجنة زيارة الله تعالى

وسيمرُّ بك ذكر هذه الزيارة عن قريبٍ، إنْ شاء اللهُ تعالىٰ[1].

الباب الستون

١/ ٥٧١

في ذكر سوق الجنة وما أعدَّ اللَّهُ تعالى فيه لأهلها

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لسُوقًا يأتونها كلَّ جمعة، فتهبُّ ريحُ الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالًا، فيرجعون إلىٰ أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: واللهُ لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالًا**»[2].

وعن سعيد بن المسيب أنَّه لقيَ أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أنْ يجمع بيني وبينك في سوقِ الجنَّة، فقال سعيد: أوَ فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «**أنَّ أهلَ الجنَّة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله تبارك وتعالىٰ، فيبرز لهم عرشه، ويتبدَّىٰ لهم في روضة من رياض الجنَّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيها دنيٌّ - علىٰ كثبان المسك والكافور، وما يرون أنَّ أصحاب الكراسي بأفضل**

(١) الباب (٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٣).

منهم مجلسًا»، قال أبو هريرة: فقلتُ: هل نرىٰ ربنا ﷻ؟ قال: «نعم، قال: هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدرِ»؟ قلنا: لا، قال: «فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تبارك وتعالىٰ، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحدٌ إلَّا حاضره الله محاضرة، حتَّىٰ يقول: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيُذَكِّره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلىٰ، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلىٰ، فبمغفرتي بلغتَ منزلتك هذه، قال: فبينما هم علىٰ ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قطُّ، ثمَّ يقول ربنا تبارك وتعالىٰ: قُوموا إلىٰ ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقًا قد حفَّتْ به الملائكة، فيه ما لم تنظرِ العيون إلىٰ مثله، ولم تسمع الآذانُ، ولم يخطر علىٰ القلوب، قال: فيُحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيءٌ ولا يُشْتَرىٰ، وفي ذلك السُّوق يلقىٰ أهل الجنَّة بعضهم بعضًا، قال: فيقبل ذو البِزَّة المرتفعة فيلقىٰ من هو دونه - وما فيهم دنيٌّ - فيروعه ما يرىٰ عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتَّىٰ يتمثل عليه أحسنَ منه، وذلك أنَّه لا ينبغي لأحد أنْ يحزن فيها، قال: ثمَّ ننصرف إلىٰ منازلنا فيلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبًا وأهلًا بمُحِبِّنا، لقد جئتَ وإنَّ بك من الجمالِ والطَّيب أفضل ممَّا فارقتنا عليه، فيقول: إنَّا جالسنا اليومَ ربنا الجبَّار تبارك وتعالىٰ، وبحقنا أنْ ننقلبَ بمثل ما انقلبنا»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦)، وصححه ابن حبان (١٦/ ٧٤٣٨).

١/ ٥٧٦

الباب الحادي والستون

في ذكر زيارة أهل الجنة ربَّهم تبارك وتعالى

عن عبد الله بن عُبيد بن عُمَير أنَّهُ سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: «أتىٰ جبريل بمرآة بيضاء فيها وَكْتَةٌ[١] إلىٰ النَّبي ﷺ فقال النَّبي ﷺ: «**ما هذه؟**» قال: الجمعة، فُضِّلتَ بها أنتَ وأمتك، فالنَّاس لكم فيها تبعٌ: اليهودُ والنصارىٰ، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخيرٍ إلَّا استجيبَ له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النَّبي ﷺ: «**يا جبريل وما يومُ المزيد؟**» قال: إنَّ ربك اتخذَ في الفردوس واديًا أفيحَ فيه كثبُ مسكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللهُ تبارك وتعالىٰ ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النَّبيين، وحَفَّ تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللةٍ بالياقوتِ والزبرجد، عليها الشهداء والصِّدِّيقون، فجلسوا من ورائهم علىٰ تلك الكُثُب فيقول الله تعالىٰ: أنا ربُّكم قد صَدَقْتكم وعْدِي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم عليَّ ما تمنيتم، ولديَّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الَّذي استوىٰ فيه ربكم علىٰ العرشِ، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»[٢].

وعن أبي بَرْزَة الأسلمي عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليغدون في حُلَّةٍ ويروحون في أخرىٰ؛ كغدوِّ أحدكم ورواحه إلىٰ ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلىٰ زيارة ربِّهم ﷻ، وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك السَّاعة التي يأتون فيها ربهم ﷻ**»[٣].

---

(١) والوكتة: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. والجمع: وَكْت. «النهاية» (٥/ ٢١٨).

(٢) «مسند الشافعي» (٣٧٤). وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٩٤)، وسنده ضعيف جدًّا.

وقال الضحاك في قوله ﷻ: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥] قال: «على النجائب عليها الرِّحال»[1].

١/ ٥٨٢

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الَّذي يصيبهم في الجنَّة

قد تقدَّم في حديث سوق الجنَّة أنَّه يغشاهم يوم الزيارة سحابةٌ من فوقهم، فتمطر عليهم طيبًا لم يجدوا مثلَ ريحه قطُّ[2].

وعن شُفي بن ماتع أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ من نعيم أهل الجنَّة أنَّهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنَّهم يُؤْتَون في الجنَّة بخيلٍ مُلجمة مسرجة لا تروث ولا تبول، يركبونها حتَّى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثلُ السحابة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتَّى ينتهيَ ذلك فوق أمانيهم، ثمَّ يبعث الله تعالى ريحًا غير مؤذية فتنسفُ كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤوسهم، ولكلِّ رجلٍ منهم جُمَّة على ما اشتهتْ نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيلِ وفيما سوى ذلك من الثياب، ثمَّ يقبلون حتَّى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أَمَا لَك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت، ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحِبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: وما تعلم أنَّ الله تعالى قال: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٥٣) وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٦٥-١٦٦).

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، فيقول: بلىٰ وربِّي. فلعلَّه يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعينَ خريفًا، ما يشغله عنها إلَّا ما هو فيه من النعيم»[١].

الباب الثالث والستون ١/ ٥٨٦

في ذكر مُلكِ الجنَّة وأنَّ أهلها كلهم ملوك فيها

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

عن مجاهد: ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ قال: «عظيمًا».

وقال: «استئذان الملائكة عليهم لا تدخل عليهم الملائكة إلَّا بإذن»[٢].

وقال بعضهم: الخدم، ولا تدخل الملائكة عليهم إلَّا بإذن.

وعن ابن عباس ﷺ «أنَّه ذكر مراكب أهل الجنَّة ثمَّ تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾»[٣].

وعن أبي هريرة قال: «إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه»[٤].

وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث المغيرة بن شعبة، عن النَّبي ﷺ قال: «سأل

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٦)، وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٠٢)، وفي سنده ضعف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٠٥)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٥) (٣٨٨٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢١١)، وفي سنده ضعف.

(٥) رقم (١٨٩).

موسىٰ ربه ما أدنىٰ أهل الجنة منزلة؟ قال: هو الرجل يجيء بعدما أُدخِل أهل الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضىٰ أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك، فيقول: رضيت رب» وذكر الحديث، وقد تقدم ذكره بتمامه(١).

وعن أبي سعيد قال: «خلق الله تبارك وتعالىٰ الجنة: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرسها بيده، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١] فدخلها الملائكة، فقال: طوبىٰ لك منزل الملوك»(٢).

قلت: والحديث: صحيح موقوف. والله أعلم.

وقد تقدم ذكر التيجان علىٰ رؤوسهم(٣)، وإنما يلبسها الملوك.

٢/ ٥٩٣

الباب الرَّابع والستون

في أنَّ الجنَّة فوق ما يخطر بالبال أو يدورُ في الخلد، وأنَّ موضع سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها

قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦-١٧].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٧٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٤٠، ٢٣٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ١٣٤).

وتأمَّل كيفَ قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الَّذي أخفاهُ لهم ممَّا لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم علىٰ مضاجعهم حتىٰ يقوموا إلىٰ صلاة الليل = بقُرَّة الأعين في الجنَّة.

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال اللهُ ﷻ: أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلبَ بشرٍ، مِصْداقُ ذلك في كتاب الله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾**».

وفي لفظٍ آخر فيهما: «**يقول اللهُ ﷻ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ذُخْرًا بَلْهَ ما أطلعكم عليه، ثمَّ قرأ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾**» الآية[2].

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنَّة حتَّىٰ انتهىٰ، ثمَّ قال في آخر حديثه: «**فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ثمَّ اقترأ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾** [السجدة:١٦-١٧]».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقابُ قوس أحدكم في الجنَّة خيرٌ ممَّا طلعتْ عليه الشمس أو تغرب**».

---

(١) البخاري (٤٥٠١)، ومسلم (٢٨٢٤) - (٢).

(٢) البخاري (٤٥٠٢)، ومسلم (٢٨٢٤) - (٤).

(٣) رقم (٢٨٢٥).

(٤) البخاري (٢٦٤٠)، ومسلم (١٨٨٢).

وقد تقدَّم حديث أبي أُمامة عن النَّبي ﷺ: «**أَلَا مُشَمِّرٌ للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرة، ومقام في أبدٍ في دارٍ سليمة، وفاكهةٍ وخضرةٍ وحبرةٍ ونعمةٍ، في محلةٍ عاليةٍ بهيةٍ**»[١].

ولو لم يكن من خطر الجنَّة وشرفها إِلَّا أنَّه لا يُسأل بوجه الله غيرها = لكفاها شرفًا وفضلًا، كما في «سنن أبي داود» من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه اللهِ إِلَّا الجنَّة**»[٢].

وفي «صحيح البخاري»[٣] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**موضع سوط في الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها**».

وكيفَ يُقدَّر قدْر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن مِلاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهي اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فَلَبِنَة من فضة ولبنة من ذهب.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وسنده ضعيف.

(٣) رقم (٢٧٣٥)، ومسلم (١٨٨١).

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا ساقها من ذهب أو فضة، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القِلال، ألْين من الزبد، وأحلىٰ من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىٰ.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإنْ سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإنْ سألتْ عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظ من الزحام.

وإنْ سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنَّها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإنْ سألت عن ظِلِّها ففيها شجرة واحدة يسير الرَّاكبُ المجدُّ السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها.

وإنْ سألت عن سعتها فأدنىٰ أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإنْ سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من دُرَّةٍ مجوَّفة طولها ستون ميلًا من جملة الخيام.

وإنْ سألت عن علاليها وجواسقها(١) فهي غرف من فوقها غرف مَبْنِية، تجري من تحتها الأنهار.

---

(١) الجواسق: جمع جَوْسَق: فارسي معرَّب، وهو تصغير قصر «كوشك» أي: صغير. انظر: «المعرَّب» للجواليقي (ص: ٥٣).

وإنْ سألت عن ارتفاعها فانظر إلىٰ الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الَّذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإنْ سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإنْ سألت عن فرشهم فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلىٰ الرُّتَب.

وإنْ سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي: الحِجَال مُزَرَّرَة بإزرار الذهب، فما لها من فُروج ولا خلال.

وإنْ سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلىٰ صورة القمر.

وإنْ سألت عن أسنانهم فأبناءُ ثلاثة وثلاثين علىٰ صورة آدم أبي البشر.

وإنْ سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلىٰ منه سماع أصوات الملائكة والنَّبيين، وأعلىٰ منهما سماع خطاب ربِّ العالمين.

وإنْ سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله تعالىٰ ممَّا شاءَ تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.

وإنْ سألت عن حُليهم وشارتهم، فأسَاوِر الذهب واللؤلؤ، علىٰ الرؤوس ملابس التِّيجان.

وإنْ سألت عن غلمانهم فولدانٌ مخلدون كأنَّهم لؤلؤٌ مكنون.

وإنْ سألتَ عن عرائسهم وأزواجهم فهُنَّ الكواعب الأترابُ، الَّلاتي جرىٰ في أغصانِهنَّ ماءُ الشباب، تجري الشمسُ في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فَقُلْ ما شئت في تقابل النَّيِّرين، وإذا حادثته فما ظنُّك بمحادثة الحبيبين، وإنْ ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، لو اطلعت علىٰ الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحًا، نصيفها علىٰ رأسها خيرٌ

من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهىٰ إليه من جميع أمانيها، لا تزداد علىٰ تطاول الأحقاب إِلَّا حسنًا وجمالًا، ولا يزدادُ لها علىٰ طول المدىٰ إِلَّا محبة وَوِصالًا، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلَّما حدثته ملأت أُذُنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصرَ والغرفة نورًا.

هذا، وإنْ سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزَّه عن التمثيل والتشبيه، كما تُرَىٰ الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدرِ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصِّحاح، والسنن، والمسانيد، من رواية: جرير، وصهيب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي موسىٰ، وأبي سعيد = فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنَّة، إنَّ ربَّكم تبارك وتعالىٰ يستزيركم فحيَّ علىٰ زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلىٰ الزيارة مبادرين، فإذا بالنَّجائب قد أُعدتْ لهم، فيستوون علىٰ ظهورها مسرعين، حتَّىٰ إذا انتهوا إلىٰ الوادي الأفيح الَّذي جُعل لهم موعدًا، وجُمِعُوا هناك، فلم يغادر الدَّاعي منهم أحدًا = أمرَ تبارك وتعالىٰ بكرسيِّه فنصبَ هناك، ثمَّ نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابرُ من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم من الدنايا- علىٰ كثبان المسك، ما يرون أنَّ أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتَّىٰ إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم نادىٰ المنادي: يا أهل الجنَّة إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا يريدُ أنْ ينجزَكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُبيض وجوهنا ويثقِّل موازيننا، ويدخلنا الجنَّة، ويزحزحنا عن النَّارِ، فبينا هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقت له الجنَّة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبَّار جلَّ جلاله، وتقدَّستْ أسماؤه، قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنَّة: سلامٌ عليكم، فلا تردُّ هذه التحية بأحسنَ من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنكَ السلام، تباركتَ ياذا الجلال والإكرام،

فيتجلىٰ لهم الرب تبارك وتعالىٰ يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالىٰ: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لم أُسْكِنْكم جنتي، هذا يوم المزيد فسلوني. فيجتمعون علىٰ كلمةٍ واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف الرب جل جلاله الحُجُب، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وقضىٰ أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الربُّ تعالىٰ محاضرة، حتىٰ إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلىٰ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قُرَّة عيون الأبرار بالنظر إلىٰ وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذِلَّة الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٥].

فحيَّ علىٰ جنَّاتِ عدْنٍ فإنَّها ... منازِلُكَ الأُولىٰ وفيها المُخَيَّمُ
لكنَّنا سبْي العدوِّ فهل ترىٰ ... نعُودُ إِلىٰ أوطاننا ونسلِّمُ

الباب الخامس والستون ٢/ ٦٠٥

في رؤيتهم ربَّهم تبارك وتعالى وتجلِّيه لهم ضاحكًا إليهم

هذا البابُ أشرفُ أبواب الكتاب، وأجلُّها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرُّها لعيون أهل السنَّة والجماعة، وأشدُّها علىٰ أهل البدعة والفُرقة، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابقَ إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل

العاملون. إذا ناله أهل الجنَّة نَسُوا ما هم فيه من النعيم، وحِرْمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدَّ عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلونَ، وجميعُ الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام علىٰ تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون.

وقد أخبر سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه، وهو كليمه ونجيُّهُ وصفيُّهُ من أهل الأرضِ، أنَّه سأل ربه تعالىٰ النظر إليه، **فقال له ربُّه تبارك وتعالى**: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣].

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوهٍ عديدةٍ:

أحدها: أنْ لا يُظَنَّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أنَّه يسأل ربَّهُ ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطلِ الباطل، وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أنَّ الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنَّه أجابه بقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] ولم يقل: إنِّي لا أُرَىٰ، ولا إنِّي لستُ بمرئيّ؛ ولا تجوز رؤيتي. والفرقُ بين الجوابين ظاهرٌ لمن تأمَّلَهُ.

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه سبحانه مرئيٌّ، ولكنَّ موسىٰ لا تحتمل قواهُ رؤيته في هذه الدار لِضَعْفِ قوىٰ البشرِ فيها عن رؤيته تعالىٰ.

الوجه الرَّابع: أنَّ ربه سبحانه قد كلَّمه منه إليه، وخاطبه وناداهُ وناجاهُ، ومن جازَ عليه التَّكلمُ والتكليم، وأنْ يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولىٰ بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إِلَّا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف

بين إنكار الأمرين، فأنكروا أنْ يكلِّم أحدًا، أو يراهُ أحدٌ، ولهذا سأله موسىٰ النظر إليه لمَّا أسمعه كلامه، وعلم من اللهِ جوازَ رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكنْ أراهُ أن ما سأله لا يقدر علىٰ احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] فإنَّما يدلُّ علىٰ النَّفي في المستقبل، ولا يدلُّ علىٰ دوام النَّفي؛ ولو قُيِّدت بالتأبيد، فكيف إذا أُطلقت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥] مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

الدليلُ الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وأجمع أهل اللسان علىٰ أنَّ اللقاء متىٰ نُسِبَ إلىٰ الحي السليم من العَمَىٰ والمانع؛ اقتضىٰ المعاينة والرؤية.

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٥-٢٦].

فالحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجْهِهِ الكريم، كذلك فسَّرها رسول الله ﷺ الَّذي أُنزِلَ عليه القرآن، والصحابة من بعده، كما روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا

(١) رقم (١٨١).

دخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ، وأهل النَّارِ النَّارَ، نادىٰ منادٍ: يا أهل الجنَّة إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا يريدُ أنْ ينجزكموهُ، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقِّل موازيننا، وَيُبَيِّضْ وجوهنا، ويدخلنا الجنَّة ويجرنا من النَّارِ؟! فيكشف الحجابَ فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة».

وأمَّا الصَّحابة: فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النَّظرُ إلىٰ وجه الله»[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النَّظرُ إلىٰ وجه ربهم تبارك وتعالىٰ[٢].

وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة يبعث اللهُ عز وجل إلىٰ أهل الجنَّة مناديًا ينادي: هل أنجز اللهُ لكم ما وعدكم؟ فينظرون إلىٰ ما أعد لهم من الكرامة فيقولون: نعم، فيقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظرُ إلىٰ وجه الرحمن عز وجل»[٣].

وعن ابن عباس وابن مسعود ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ﴾ فقال: «أمَّا الحسنىٰ: فالجنَّة، وأمَّا الزيادة: فالنظر إلىٰ وجه الله، وأمَّا القترُ: فالسَّواد»[٤].

وقال غير واحدٍ من السَّلفِ في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ﴾ [يونس:٢٦]: بعد النظر إليه، والأسانيد بذلك صحيحة.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٤ - ١٠٥)، وإسناده منقطع. انظر: «علل الدارقطني» (١/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، وسنده لا بأس به.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، وسنده ضعيف.

(٤) ذكره اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٨٧)، وسنده ضعيف.

ولمَّا عطفَ سبحانه الزيادة علىٰ الحسنىٰ التي هي الجنَّة؛ دلَّ علىٰ أنَّها أمرٌ آخر وراء الجنَّة، وقدرٌ زائدٌ عليها، ومن فسَّرَ الزيادة بالمغفرة والرضوان[١]، فهو من لوازم رؤية الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ.

الدليل الرَّابع: قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٤-١٥].

ووجه الاستدلال بها: أنَّه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، وسماع كلامه، فلو لم يرهُ المؤمنون، ولم يسمعوا كلامَهُ كانوا أيضًا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحُجَّة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكره الطبري وغيره عن المزني قال: سمعتُ الشافعي يقول في قوله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ قال: «فيها دلالة علىٰ أنَّ أولياء الله يرون ربَّهم يوم القيامة»[٢].

الدليل الخامس: قوله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

قال الطبريُّ: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلىٰ وجه الله ﷻ، وقاله من التابعين: زيد بن وهب وغيره[٣].

الدليل السادس: قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

والاستدلال بهذا عجب، فإنَّه من أدلة النفاة، وقد **قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزمُ أنَّهُ لا يحتج مبطلٌ بآيةٍ أو حديثٍ صحيح على باطله؛ إلَّا وفي ذلك الدليلِ ما يدلُّ على نقض قوله**، فمنها هذه الآية

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٨)، وسنده حسن.

(٢) أخرجه اللالكائي الطبري في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٩).

(٣) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٦٩) (٨١١، ٨١٢، ٨١٣).

وهي علىٰ جواز الرؤية أدلَّ منها علىٰ امتناعها، فإنَّ اللهَ سبحانه إنَّما ذكرها في سياق التمدُّح، ومعلومٌ أنَّ المدحَ إنَّما يكونُ بالأوصاف الثبوتية، وأمَّا العدمُ المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنَّما يُمْدح الربُّ تعالىٰ بالعَدَمِ إذا تضمن أمرًا وجوديًّا:

كمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القَيُّومية.

ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.

ونفي اللُّغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة.

ونفي الشريك والصاحبة والولدِ والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره.

ونفي الأكلِ والشربِ المتضمن لكمال صَمَدِيَّتِهِ وغِنَاهُ.

ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناهُ عن خلقه.

ونفي الظلمِ المتضمن كمال عدلهِ وعلمه وغناه.

ونفي النسيان وعزوب شيءٍ عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته.

ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدَّح بعَدَمٍ محْضٍ لا يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإنَّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمرٍ يشترك هو والمعدوم فيه؛ فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أنَّهُ لا يُرَىٰ بحالٍ، لم يكن في ذلك مَدْحٌ ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإنَّ العَدَمَ الصِّرْف لا يُرَىٰ ولا تدركه الأبصارُ، والرَّبُّ جلَّ جلاله يتعالىٰ أنْ يُمْدَحَ بما يشاركه فيه العدمُ المحض.

فإذًا، المعنىٰ أنَّه يرىٰ ولا يُدرك، ولا يحاطُ به كما كان المعنىٰ في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١]، أنَّه يعلمُ كلَّ شيء.

وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، أنَّه كامل القدرة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، أنَّه كامل العدل.

وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، أنَّهُ كامل القيومِيَّة.

فقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يدلُّ علىٰ غايةِ عظمته، وأنَّه أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأنَّه لعظمته لا يُدْرَك بحيث يُحَاطُ به، فإنَّ الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدرٌ زائدٌ علىٰ الرؤية، وهذا هو الَّذي فهمته الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لا تُحِيطُ به الأبصار»[1].

وقال عطية: «ينظرون إلىٰ اللهِ ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾»[2].

فالمؤمنون يرون ربهم -تبارك وتعالىٰ- بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم، بمعنىٰ أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به، وهو بكل شيء محيط، وهكذا يُسْمِعُ كلامه من شاء من خلقه، ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يُعلِّم الخلق ما علمهم، ولا يحيطون بعلمه.

وتأمَّل حُسن هذه المقابلة لفظًا ومعنًىٰ بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. فإنه سبحانه لعظمته يتعالىٰ أن تدركه الأبصار وتحيط به، ولِلُطفِه وخبرته يُدْركُ الأبصار فلا تخفىٰ عليه، فهو العظيم في لُطْفِه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوِّه، الَّذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩٩)، وسنده ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٢).

الدليل السابع: قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وأنت إذا أَجَرْتَ هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب علىٰ المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها = وجدتها منادية نداء صريحًا: أنَّ الله سبحانه يُرىٰ عيانًا بالأبصار يوم القيامة.

وإضافة النظر إلىٰ الوجه الذي هو محلّه في هذه الآية، وتَعْدِيته بأداة «إلىٰ» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل علىٰ أن المراد بالنظر المضاف إلىٰ الوجه المُعَدَّىٰ بـ «إلىٰ» خلاف حقيقته، وموضوعه = صريح في أن الله سبحانه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلىٰ نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عِدَّة استعمالات بحسب صِلاته وتَعَدِّيه بنفسه:

فإن عُدِّيَ بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالىٰ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣].

وإن عُدِّيَ بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وإن عُدِّيَ بـ «إلىٰ» فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالىٰ: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:٩٩]، فكيف إذا أُضيف إلىٰ الوجه الذي هو محل البصر؟

عن الحسن: «نظرت إلىٰ ربها تبارك وتعالىٰ فنَضِرت بنوره»(١).

فاسمع الآن أيها السُّنِّي تفسير النَّبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٢)، وسنده حسن.

قال: «**من البهاء والحسن** ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]. **قال: في وجه الله** ﷻ»(١).

وعن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلىٰ وجه ربها»(٢).

وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «من النعيم»، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلىٰ ربها نظرًا»، ثم حكىٰ عن ابن عباس مثله»(٣).

وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

٢/ ٦٢٥

الأحاديث المتواترة الدالة على رؤية الله تعالى

وأما الأحاديث عن النَّبي ﷺ وأصحابه الدالة علىٰ الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب ابن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسىٰ الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعُمَارة ابن رُوَيْبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمرو بن العاص -وحديثه موقوف- وأُبي بن كعب، وكعب بن عُجْرة، وفَضَالة ابن عُبيد -وحديثه موقوف-، ورجل من أصحاب النَّبي ﷺ غير مُسمَّىٰ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣ و٣٣٣٠)، وضعفه.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٨٨)، واللالكائي (٧٩٩).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٨٨)، واللالكائي (٨٠٤)، وسنده ضعيف.

فأما حديثُ أبي هريرة وأبي سعيد: ففي «الصحيحين»(١) عن أبي هريرة أنَّ أُناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنَّكم ترونه كذلك، يجمعُ اللهُ النَّاس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتَّبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القَمَرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللهُ تبارك وتعالىٰ في صورةٍ غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتَّىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله ﷻ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظَهْرَانَي جهنَّم، فأكون أنا وأمتي أَوَّلَ من يُجِيْزُ، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلَّا الرسل، ودعوىٰ الرُّسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سَلِّم، وفي جهنَّم كلاليبُ مثل شوكِ السَّعْدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنَّها مثل شوك السعدان غير أنَّه لا يعلمُ قدر عِظَمها إلَّا اللهُ ﷻ، تخطف النَّاس بأعمالهم، فمنهم المُوْبَق بعمله، ومنهم المُجازىٰ حتىٰ ينجو، حتَّىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أنْ يُخرجَ برحمته من أراد من أهل النَّارِ، أمرَ الملائكة أن يخرجوا من النَّارِ من كان لا يشرك بالله شيئًا ممَّن أراد الله أنْ يرحمه ممَّن يقول: لا إله إلَّا اللهُ، فيعرفونهم بأثر السجود، تأكل النَّارُ من ابن آدم إلَّا أثرَ السجود، حرَّم اللهُ علىٰ النَّارِ أنْ تأكل أثر السجود، فيخرجون من النَّارِ قد امْتُحِشُوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبَّة في حَميل السيل، ثمَّ يفرغ اللهُ من القضاء بين العباد، ويبقىٰ رجلٌ مقبل بوجهه علىٰ النَّارِ - وهو آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة - فيقول: أي ربِّ

(١) البخاري (٧٧٣)، ومسلم (١٨٢).

أصرف وجهي عن النَّارِ، فإنَّه قد قَشَبني ريحُها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أنْ يدعوهُ، ثمَّ يقول الله تبارك وتعالىٰ: هل عسيت إنْ فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، فيُعطِي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النَّار، فإذا أقبلَ علىٰ الجنَّة، ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثمَّ يقول: أَي ربِّ قدِّمني إلىٰ باب الجنَّة، فيقول اللهُ: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الَّذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول أي رب فيدعو الله حتَّىٰ يقول له: فهل عسيت إنْ أعطيتك ذلك أنْ تسأل غيره؟ فيقول: لا وعِزَّتك، فيُعطي ربَّه ما شاء الله من عهودٍ ومواثيق فيقدمه إلىٰ باب الجنَّة، فإذا قامَ علىٰ باب الجنَّة انفهقت له الجنَّة فرأىٰ ما فيها من الخيرِ والسرور، فسكتَ ما شاء اللهُ أنْ يسكت، ثمَّ يقول أي ربِّ أدخلني الجنَّة، فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أنْ لا تسأل غير ما أُعطِيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي ربِّ، لا أكون أشقىٰ خلقك، فلا يزال يدعو حتَّىٰ يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: أدخل الجنَّة، فإذا دخلها قال الله له: تَمَنَّهْ، فيسأل ربه ويتمنَّىٰ حتَّىٰ أنَّ اللهَ لَيُذَكِّره فيقول: من كذا وكذا، حتَّىٰ إذا انقطعت به الأمانيُّ، قال اللهُ ﷻ: لك ذلك ومثله معه».

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا حتَّىٰ إذا حدَّث أبو هريرة: إنَّ الله ﷻ قال لذلك الرجل «ومثله معه» قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة: ما حفظت إلَّا قوله: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد: أشهدُ أنِّي حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة.

وفي «الصحيحين»(١) أيضًا عَن أبي سعيد الخدري ﵁ أنَّ ناسًا في زمن

(١) البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمرِ ليلة البدرِ صحوًا ليس فيها سحاب**»؟ قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «**ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة؛ إِلَّا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أَذَّنَ مؤذِّنٌ، لتتبع كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ أحدٌ ممَّن كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إِلَّا يتساقطون في النَّارِ، حتَّىٰ إذا لم يبقَ إِلَّا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجر، وغير أهل الكتاب، فيدعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كُنَّا نعبد عزيرَ ابنَ الله، فيقال: كذبتم ما اتخذَ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلىٰ النَّارِ كأَنَّها سراب يَحْطِمُ بعضها بعضًا، فيتساقطون في النَّارِ، ثمَّ يدعىٰ النصارىٰ، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كُنَّا نعبد المسيح ابنَ الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ اللهُ من صاحبة ولا ولد، فيقال: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيُحْشَرون إلىٰ جهنَّمْ كأَنَّها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتَّىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لِتَتَّبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا -مرتين أو ثلاثًا- حتىٰ إنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكْشَف عن ساقٍ فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتِّقاءً ورياء إلا جعل الله ظَهْره طبقةً واحدةً، كلمَّا أراد أنْ يسجد خرَّ علىٰ قفاهُ، ثمَّ يرفعون رؤوسهم، وقد**

تحوَّل في صورته التي رأوهُ فيها أَوَّل مرَّة، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربنا، ثمَّ يُضْرَب الجسر علىٰ جهنَّم وتحلُّ الشفاعة»، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلَّة فيه خطاطيف وكلاليب، وحَسَك - تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها السَّعْدَان- فيمرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالرِّيح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكابِ، فناجٍ مسلَّم، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوشٌ في نار جهنَّم، حتَّىٰ إذا خلص المؤمنون من النَّار، فوالَّذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الَّذين في النَّارِ، يقولون: ربنا كانوا يصومون معَنَا ويصلون ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم علىٰ النَّارِ فيُخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذتِ النَّار إلىٰ أنصاف ساقيه وإلىٰ ركبتيه، فيقولون: ربَّنَا ما بقيَ فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نَذَرْ فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثمَّ يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارْجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثال ذرَّةٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا» -وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إنْ شئتم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٤٠] - «فيقول الله ﷻ: شفعتِ الملائكة، وشفع النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلَّا أرحمُ الرَّاحمين، فيقبض قبضة من النَّار فيُخْرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ، قد عادوا حُمَمًا فيلقيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنَّة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحِبَّة في حَميل السيل، ألا ترونها تكون إلىٰ الحجر أو إلىٰ الشجر، ما يكون إلىٰ الشمس أصيفر وأُخيضر، وما

يكون منها إلىٰ الظل يكون أبيض»، فقالوا: يا رسول الله كأنَّكَ كنتَ ترعىٰ بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنَّة: هؤلاء عتقاء الله الَّذين أدخلهم الله الْجنَّة بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموه، ثمَّ يقول: ادخلوا الجنَّة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأيُّ شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

وأما حديث جرير بن عبد الله: ففي «الصحيحين»(١) عنه قال: كنا جلوسًا مع النَّبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

وأمَّا حديث صهيب: فرواهُ مسلم في «صحيحه»(٢)، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّةَ قال: يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنَّة وتنجِّنا من النَّارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلىٰ ربِّهم ﷻ، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]».

وأمَّا حديث أبي موسىٰ: ففي «الصحيحين»(٣) عنه ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «جنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وما بين القوْمِ وبينَ أنْ

---

(١) البخاري (٥٢٩)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) رقم (١٨١).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٧٦).

ينظروا إلىٰ ربِّهم تبارك وتعالىٰ إلَّا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنَّةِ عدن».

وأمَّا حديث عدي بن حاتم: ففي «صحيح البخاري»[1] قال: بينا أنا عند النَّبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتىٰ إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عدي، هل رأيت الحِيْرة**»؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «**فإن طالت بك حياة لترين الظَعِينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله**». قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيء الذين سعروا البلاد؟ «**وإن طالت بك حياة لتفتحنَّ كنوز كسرىٰ**»، قلت: كسرىٰ بن هرمز؟ قال: «**كسرىٰ بن هرمز، وإن طالت بك حياةٌ لَترينَّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلىٰ يا رب، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلىٰ، فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرىٰ إلا جهنم**». قال عدي: سمعتُ النَّبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**». قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النَّبي ﷺ.

وأما حديث أنس بن مالك: ففي «الصحيحين»[2] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمُّون لذلك - وفي لفظ: فيُلْهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلىٰ ربنا حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع**

---

(١) رقم (٣٤٠٠).

(٢) البخاري (٦٩٧٥)، ومسلم (١٩٣).

لنا عند ربنا حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا أوَّل رسول بعثه الله ﷺ، قال: فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا موسىٰ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسىٰ فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا عيسىٰ روح الله وكلمته، فيأتون عيسىٰ روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ، عبدًا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فأستأذن علىٰ ربي فيؤذَنُ لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجدًا فَيَدَعَني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تعط، واشفع تشفَّع. فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلِّمنيه ربي، فأشفع فيحد لي حدًّا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود، فأقع ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفَّع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع: فيحد لي حدًّا فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال: فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن». أي: وجب عليه الخلود.

ورؤية النَّبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابته عنه ثبوتًا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة.

وأمَّا حديث أبي رَزِين العُقيلي: فقال: قلنا: يا رسول الله، أكُلُّنا يرىٰ ربَّه ﷻ يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قال: قلتُ: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: **«أليس كلُّكم ينظر إلىٰ**

القمر ليلة البدر»؟ قلنا: نعم، قال: «الله أكبر وأعظم»[١].

وأمَّا حديث جابر بن عبد الله: فقال الإمام أحمد: حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنَّه سمع جابرًا يُسْأل عن الورود فقال: «**نجيء يوم القيامة علىٰ كذا وكذا، أي فوق النَّاسِ، فتدعىٰ الأُمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأوَّل فالأوَّل، ثمَّ يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم فيقولون: حتَّىٰ ننظر إليك، فيتجلَّىٰ لهم تبارك وتعالىٰ يضحَكُ قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويُعْطَىٰ كلُّ إنسانٍ منهم: منافق أو مؤمن نورًا، ثمَّ يتبعونه علىٰ جسر جهنم، وعليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثمَّ يُطْفَأ نور المنافق، ثمَّ ينجو المؤمنون، فتنجو أوَّل زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفًا لا يحاسبون، ثمَّ الَّذين يلونهم كأضوإ نجمٍ في السَّماء، ثمَّ كذلك، ثمَّ تحلُّ الشفاعة حتَّىٰ يخرج من النَّارِ من قال: لا إله إلَّا الله، وكان في قلبه من الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، فيُجْعَلون بفناء أهل الجنَّة ويجعل أهل الجنَّة يرشون عليهم الماء، حتىٰ ينبتون نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه ثمَّ يسأل حتَّىٰ يجعلَ الله له الدنيا وعشرة أمثالها مَعَها**»[٢].

رواهُ مسلم في «صحيحه»[٣] وهذا الَّذي وقع في الحديث من قوله: «علىٰ كذا وكذا» قد جاء مفسَّرًا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»[٤]: «نجيء يوم القيامة علىٰ تلٍّ مشرفين علىٰ الخلائق».

وأمَّا حديث عمَّار بن ياسر: فعن أبي مِجْلَز قال: صلَّىٰ بنا عمَّار صلاةً فأوجزَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٠)، وأبو داود (٤٧٣١)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٤١).

(٢) المسند (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٣) رقم (١٩١).

(٤) (١/ ١٥٨ - ١٥٩).

فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أُتِمَّ الركوعَ والسجودَ؟ قالوا: بلىٰ، قال: أما إنِّي قد دعوتُ فيها بدعاء، كان رسول الله ﷺ يدعو به: «**اللَّهم بعلمك الغيبَ، وبقدرتك علىٰ الخلقِ، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحقِّ في الغضب والرِّضىٰ، والقصدَ في الفقر والغنىٰ، ولذَّة النظر إلىٰ وجهك، والشوقَ إلىٰ لقائك في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضلَّةٍ، اللَّهم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين**»[١].

فصل

٢/ ٦٨٥

أقوال الصحابة في إثبات رؤية الله تعالى

وهَاكَ بعض ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم.

قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فقالوا: ما الزِّيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: «النَّظرُ إلىٰ وجه الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ»[٢].

وعن عُمَارة بن عبدٍ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: «من تمامِ النِّعمة دخول الجنَّة، والنظرُ إلىٰ وجه الله تبارك وتعالىٰ في جنته»[٣].

وعن حذيفة: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه اللهِ تبارك وتعالىٰ»[٤].

وعن عكرمة قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنَّة يرىٰ اللهَ ﷻ؟ قال: «نعم»[٥].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، وصححه ابن حبان (١٩٧١).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٧٩).

(٣) ذكره اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٥٩)، وسنده ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه (ص: ١٧٩).

(٥) تقدم تخريجه (ص: ١٨٤).

وعن ابن عباس وابن مسعود ﷺ: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الله»(١).

وعن أبي النضر أنَّ أبا هريرة ﷺ كان يقول: «لن تروا ربكم حتَّىٰ تذوقوا الموت»(٢).

وعن أُمِّ الدرداء أنَّ فضالة بن عبيد كان يقول: «اللَّهم إنِّي أسألك الرِّضا بعد القضاء، وبردَ العيش بعد الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلىٰ وجهك».

وعن أبي موسىٰ ﷺ قال: «الزيادةُ: النظرُ إلىٰ وجه الله»(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] قال: «يظهر لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ يوم القيامة»(٤).

وقال البيهقي: «روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسىٰ وغيرهم، ولم يُرو عن أحدٍ منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين، لنُقِلَ اختلافهم في ذلك إلينا، كما أنَّهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقِلَ اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنَّهم لما اختلفوا في رؤية الله سبحانه بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نُقِلت رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة عنهم، ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا = علمنا أنَّهم كانوا علىٰ القول برؤية اللهِ تعالىٰ بالأبصارِ في الآخرة مُتَّفقين مجتمعين»(٥).

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٧٩).

(٢) ذكره اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (٨٦٥)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الدَّارقطني في «الرؤية» (٢٠٧)، وسنده حسن.

(٤) تقدم تخريجه (ص: ١٨٠).

(٥) «الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد» للبيهقي (ص: ١٤٢ - ١٤٤).

فصل

٢/ ٦٩٢

أقوال التابعين في إثبات رؤية الله تعالى

وأمَّا التابعون ويَزَكُ[1] الإسلام، وعصابة الإيمان: من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف، فأقوالهم أكثر من أنْ يحيط بها إلَّا اللهُ ﷻ.

- قال سعيد بن المسيب: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه اللهِ»[2].
- وقال الحسن: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الله»[3].
- وقال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ: «الزيادة: النظر إلىٰ وجه اللهِ تعالىٰ»[4].
- **وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عمَّاله: «أمَّا بعدُ: فإنِّي أوصيك بتقوى اللهِ، ولزوم طاعته، والتمسك بأمرِهِ، والمعاهدة على ما حملك اللهُ من دينه، واسْتَحْفَظَك من كتابه، فإنَّ بتقوى الله نجا أولياء اللهِ من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، ومن كبت يوم القيامة»**[5].
- **وقال الحسنُ: «لو علم العابدون في الدنيا أنَّهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا»**[6].
- وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الرحمن تبارك وتعالىٰ»[7].

---

(١) اليَزَك: كلمة فارسية، معناها: طلائع الجيش. انظر: «المعجم الذهبي» (٦١٩) للتونجي، و«المجموع اللفيف» (٩١) للسامرائي.

(٢) أخرجه اللالكائي (٧٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠٦)، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠٦)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الدَّارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٠٢)، وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه عبد الله في «السنَّة» (٤٨٦)، وسنده ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، وسنده حسن.



• وقال علي بن المديني: سألتُ عبد الله بن المبارك عن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠] قال عبد الله: «من أراد النظر إلىٰ وجه خالقه، فليعمل عملًا صالحًا، ولا يُخْبِرْ به أحدًا»(١).

٢/ ٦٩٩

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقتهم ومنهاجهم

قال مالك بن أنس: «النَّاسُ ينظرون إلىٰ الله ﷻ يوم القيامة بأعينهم»(٢).

وعن الهيثم بن خارجة، قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: «سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية، فقالوا: تُمَرُّ بلا كيف»(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني يعقوب بن إسحاق قال: سمعت: نُعَيم ابن حماد يقول: سعت ابن المبارك يقول: «ما حجب الله ﷻ عنه أحدًا إلَّا عذَّبه ثمَّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٥-١٧] قال ابن المبارك: بالرؤية»(٤).

وقال الشافعي: «في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]: لمَّا حجبَ هؤلاء في السَّخَط، كان في هذا دليل علىٰ: أنَّ أولياءه يرونه في الرِّضىٰ،

(١) أخرجه الَّلالكائي (٨٩٥).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٧٤).

(٣) أخرجه الَّلالكائي (٨٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٨).

قال الربيع: فقلتُ: يا أبا عبد الله، وتقول به؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنَّه يرىٰ الله ﷻ لَمَا عَبَدَهُ»(١).

وقال أبو داود: «وسمعتُ أحمد، وذُكِرَ له عن رجلٍ في شيءٍ في الرؤية فغضب وقال: من قال: إنَّ اللهَ لا يرىٰ فهو كافر»(٢).

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهْمي، والجهمي: كافر»(٣).

وقال يوسف بن موسىٰ القطان: «قيل لأبي عبد الله: أهلُ الجنَّة ينظرون إلىٰ ربِّهم تبارك وتعالىٰ ويُكلِّمونه ويكلِّمهم؟ قال: نعم، ينظرُ إليهم، وينظرون إليه، ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء وإذا شاء»(٤).

وقال الأثرم: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: فأما من قالَ: إنَّهُ لا يرىٰ الله في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبد الله: وإنَّما تكلَّم من تكلَّم في رؤية الدنيا(٥)».

وقال حنبل: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: أدركنا النَّاسُ وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا -أحاديث الرؤية- وكانوا يحدثون بها علىٰ الجملة، يُمِرُّونها علىٰ حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين»(٦).

قول جميع أهل الإيمان:

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: «إنَّ المؤمنين لم يختلفوا

---

(١) أخرجه الَّلالكائي (٨٨٣).

(٢) مسائل أبي داود (ص: ٢٦٣).

(٣) مسائل ابن هانئ (٢/ ١٥٢).

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة المختار» (٤٨).

(٥) أخرجه ابن بطة في «الإبانة المختار» (٥١).

(٦) أخرجه ابن بطة في «الإبانة المختار» (٥٢).

أنَّ جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

قول جميع أهل اللغة:

قال أبو عبد الله بن بطَّة: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد، صاحب اللغة يقول: سمعت - أبا العباس أحمد بن يحيىٰ - ثعلبًا يقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤]. أجمع أهل اللغة علىٰ أنَّ اللقاء ها هنا لا يكونُ إلَّا معاينة ونظرًا بالأبصارِ»[١].

وحسبك بهذا الإسناد صِحَّةً، واللِّقاء ثابتٌ بنصِّ القرآن كما تقدم[٢]. وبالتواتر عن النَّبي ﷺ، وكلُّ أحاديث اللقاء صحيحة:

فحديث أنس في قصة بئر معونة: «إنَّا قد لقينا ربَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وأَرْضانَا»[٣].

وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود: «من أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءهُ»[٤].

وحديثُ أنس: «إنَّكُم ستلقون بعدي أَثَرَةً فاصْبرُوا حتَّىٰ تَلْقَوا الله ورسولَهُ»[٥].

وحديث أبي ذرٍّ: «لو لقيتني بِقُرَابِ الأرضِ خطَايَا، ثُمَّ لقيتني لا تشركُ بي شيئًا لقيتُكَ بقُرابها مغفرة»[٦].

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة المختار» (٥٨).

(٢) انظر: (ص: ١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٤).

(٤) البخاري (٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤، ٢٦٨٦) عن عبادة وعائشة وأبي موسىٰ رضي الله عنهم.

ومسلم (٢٦٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٩٨) (٨٨٨٢) عن ابن مسعود موقوفًا عليه. وسنده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٧٨)، ومسلم (١٨٤٥).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

وغير ذلك من أحاديث اللِّقاءه التي اطردت كلها بلفظٍ واحدٍ.

فصل

٢/ ٧١٣

رؤية الله تعالى من فوق عباده

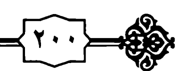
قد دلَّ القرآن والسنَّة المتواترة وإجماعُ الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام، ويَزَكُ الإيمان، وخاصَّة رسول الله ﷺ = علىٰ أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُرىٰ في القيامة بالأبصارِ عِيَانًا، كما يُرىٰ القمرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وكما تُرىٰ الشمس في الظهيرة، فإنْ كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة -وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة- فلا يمكن أنْ يروهُ إلَّا من فوقهم، لاستحالة أن يروهُ أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم وشمالهم، وإنْ لم يكن لِمَا أخبر به حقيقة - كما يقوله: أفراخ الصابئة، والفلاسفة والمجوس، والفِرعونية - بطل الشرع والقرآن، فإنَّ الَّذي جاء بهذه الأحاديث، هو الَّذي جاء بالقرآن والشريعة، والَّذي بلَّغها هو الَّذي بلَّغ الدِّين، فلا يجوزُ أنْ يُجعل كلام اللهِ ورسوله عِضِين، بحيث يؤمن ببعض معانيه، ويُكْفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبدِ بعد الاطلاع علىٰ هذه الأحاديث، وفهم معناها إنكارها، والشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله أبدًا: و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣].

والمنحرفون في باب رؤية الربِّ تبارك وتعالىٰ نوعان:

أحدهما: من يزعم أنَّه يُرىٰ في الدنيا، ويحاضر ويُسَامر.

والثاني: من يزعم أنَّه لا يُرىٰ في الآخرة ألبتَّة، ولا يُكلِّم عباده.

وما أخبر اللهُ به رسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يُكذِّبُ الفريقين، وبالله التوفيق.



٢/ ٧١٥

الباب السادس والستون
في تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة، وخطابه لهم ومحاضرته إيَّاهم، وسلامه عليهم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧].

وقال في حقِّ الَّذين يكتمون ما أنزلَ اللهُ من الهُدَىٰ والبيِّنات: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة:١٧٤].

فلو كان لا يكلِّم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداء الله سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنَّه لا يكلمهم فائدةً أصلًا.

وقد أخبر سبحانه أنَّه يسلِّمُ علىٰ أهل الجنَّة، وأنَّ ذلك السلام حقيقة، وهو قولٌ من ربٍّ رحيم، فيرونه عيانًا، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعُلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفِّر القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سوق الجنَّة وقول النَّبي ﷺ: «**ولا يبقىٰ أحدٌ في ذلك المجلس إلَّا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان أتذكر يومَ فعلت كذا وكذا**» الحديث[١].

وبالجملة فتأمَّل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذِكْرُ التَّكْلِيم.

قال البخاري في «صحيحه»[٢]: «بابُ كلامِ الرب تبارك وتعالىٰ مع أهل الجنَّة». وساق فيه عدَّة أحاديث.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٦٥-١٦٦).

(٢) في كتاب التوحيد (٦/ ٢٧٣٢).

فأفضل نعيم أهل الجنَّة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنَّة، وأعلى نعيمها وأفضله، الَّذي ما طابت لأهلها إلَّا به، والله المستعان.

٢/ ٧١٨

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يُعْلَم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع.

ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود:١٠٨]، واختلف السلف في هذا الاستثناء:

• فقال معمر عن الضحاك: «هو في الذين يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مُدَّة مكثهم في النار»[1].

• وقالت فرقة أخرىٰ: هو استثناءٌ استثناهُ الرب تعالىٰ ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرىٰ غير ذلك. وأنت لا تراه؛ بل تجزم بضربه.

• وقالت فرقة أُخرىٰ: العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنىٰ «إلَّا» في ذلك ومعنىٰ الواو سواء.

والمعنىٰ علىٰ هذا: سوىٰ ما شاء الله من الزيادة علىٰ مدة دوام السماوات

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٠)، وسنده صحيح.

والأرض. هذا قول الفرَّاء[١]، وسيبويه[٢]: يجعل «إلَّا» بمعنىٰ لكن.

قالوا: ونظير ذلك أن يقول: لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها: أي سوىٰ الألفين. قال ابن جرير: «وهذا أحب الوجهين إليَّ؛ لأن الله تعالىٰ لا خُلْف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨]»[٣].

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت، أي: سوىٰ ما شئت، أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

• وقالت فرقة أخرىٰ: هذا الاستثناء إنما هو مُدَّة احتباسهم عن الجنَّة، ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ إلىٰ أنْ يصيروا إلىٰ الجنَّة، ثمَّ هو خلودُ الأبد، فلم يغيبوا عن الجنَّة إلَّا بقدر إقامتهم في البرزخ.

• وقالت فرقة أخرىٰ: «ما» بمعنىٰ: «مَنْ»، كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] والمعنىٰ: إلَّا من شاء ربك أن يدخله النَّار بذنوبه من السعداء.

والفرقُ بين هذا القول، وبين أوَّل الأقوال: أنَّ الاستثناء علىٰ ذلك القول من المُدَّة، وعلىٰ هذا القول من الأعيان.

• وقالت فرقة أخرىٰ: الاستثناء راجعٌ إلىٰ مدَّة لبثهم في الدنيا.

وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأنْ يُقالَ: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنَّة كلَّ وقتٍ، إلَّا وقتًا يشاءُ ألَّا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقتَ كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلىٰ الصراط، وكون بعضهم في النَّار مدَّة، وعلىٰ كلِّ تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله تعالىٰ فيها: ﴿عَطَآءً

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨).

(٢) في «الكتاب» (٢/ ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٤٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٩، ١٢١) بمعناه.

غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مُحْكم، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وقد أكَّدَ الله سبحانه خلود أهل الجنَّة بالتأبيد في عدَّة مواضع من القرآن، وأخبر أنَّهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضَمَمْتَه إلىٰ الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] تبيَّن لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الَّذي لم يكونوا فيه في الجنَّة من مدَّة الخلود، كاستثناء الموتة الأولىٰ من جملة الموت، فهذه موتةٌ تقدمت علىٰ حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنَّة تقدَّم علىٰ خلودهم فيها. وبالله التوفيق.

وقد تقدَّم قول النَّبي ﷺ: «من يدخل الجنَّة ينعم لا يبؤس، ويخلد لا يموت»[1].

وقوله: «ينادي منادٍ يا أهل الجنَّة، إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وأنْ تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأنْ تحيوا فلا تموتوا أبدًا»[2].

وثبت في «الصحيحين»[3] من حديث أبي سعيد الخدري عن النَّبي ﷺ قال: **«يُجاءُ بالموتِ في صورة كبشٍ أملح، فيوقفُ بين الجنَّة والنَّارِ، ثمَّ يُقال: يا أهل الجنَّة، فيطَّلعون مشفقين، ويُقال: يا أهل النَّار، فيطلعون فرحين، فيقال: هل تعرفون هذا، فيقولون: نعم، هذا الموتُ، فيذبح بين الجنَّة والنَّار، ويُقال: يا أهل الجنَّة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النَّار خلودٌ فلا موت»**.

---

(١) (ص: ١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩).

٢/ ٧٢٣

فصل

بقاء الجنة والنار وفنائهما

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الجنَّة والنَّار فانِيتَانِ غير أبديَّتين، بل كما هما حَادِثَتَان، فهما فانيتان.

والقول الثاني: إنَّهما باقيتان، دائمتان لا يفنيان أبدًا.

والقول الثالث: إنَّ الجنَّة باقية أبديَّة، والنار فانية.

ونحن نذكر هذه الأقوال، ومن قالها، وما احتجَّ به أرباب كلِّ قول، ونردُّ ما خالف كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

• **فأمَّا القولُ بفنائهما** فهو قول قاله: جهم بن صفوان، إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قطُّ من الصحابة ولا من التابعين، ولا أحدٌ من أئمة الإسلام، ولا قال به أحدٌ من أهل السنَّة، وهذا القول ممَّا أنكرهُ عليه وعلىٰ أتباعه أئمة الإسلام وكفَّروهم به، وصاحوا بهم من أقطار الأرضِ، كما ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنة»[(١)] عن خارجة بن مصعب أنَّه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ: يقول اللهُ سبحانه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد:٣٥] وهم يقولون: لا يدوم، ويقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤] وهم يقولون: يَنْفَدُ، ويقول اللهُ ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦].

قال شيخ الإسلام: «وهذا قاله جهم لأصله الَّذي اعتقده: وهو امتناع وجود ما لا يتناهىٰ من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام التي استدلُّوا بها علىٰ حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يحل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأي الجهم: أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل. فدوام

(١) (١/ ١٣١) رقم (٧٧).

الفعل ممتنع عنده علىٰ الرب تعالىٰ في المستقبل، كما هو ممتنع عليه في الماضي.

والمقصودُ: أنَّ القولَ بفناء الجنَّة والنَّارِ قولٌ مبتدع لم يقله أحدٌ من الصحابة ولا التابعين، ولا أحدٌ من أئمة المسلمين، والَّذين قالوه إنَّما تلقَّوهُ عن قياسٍ فاسدٍ اشتبه أصله علىٰ كثيرٍ من النَّاسِ فاعتقدوه حقًّا، وبنوا عليه القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، وقد دلَّ القرآن والسنَّة والعقل الصريح علىٰ أنَّ كلمات الله وأفعاله لا تتناهىٰ، ولا تنقطع بآخرٍ، ولا تُحدُّ بأوَّل، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧] فأخبر عن عدم نفادٍ لكلماته لِعِزَّته وحكمته، وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالىٰ لا يكون إلا كذلك»[١].

فصل

٢/ ٧٣٠

أبديۃ النار ودوامها

وأما أبديَّة النار ودوامها: فقال شيخ الإسلام: «فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين»[٢].

قلت: ها هنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدًا، بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

(١) انظر: «رسالة الرد علىٰ من قال: بفناء الجنَّة والنَّار لابن تيمية» (ص: ٤٤-٤٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٢).

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مُدَّةً، ثم تنقلب عليهم، وتبقىٰ طبيعةٌ نارية لهم، يتلذَّذون بها لموافقتها لطبيعتهم. وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

وهذا في طرف، والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز علىٰ الله أن يُخْلِفَ وعيده، بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب= في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلًا، وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلًا. والفريقان مخالفان لما عُلِمَ بالاضطرار أن الرسول جاء به، وأخبر به عن الله ﷻ.

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلىٰ وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون. وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه[١]، وقد أكذبهم الله تعالىٰ في القرآن فيه:

فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨١].

وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام علىٰ فساده، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢].

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقىٰ نارًا علىٰ حالها ليس فيها أحدٌ يُعَذَّبُ، حكاه شيخ الإسلام[٢].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٢).

(٢) في «رسالة الرد علىٰ من قال بفناء الجنَّة والنَّار» (ص: ٥٣).

والقرآن والسنة أيضًا يردان هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنىٰ بنفسها؛ لأنها حادثة بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته.

وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول: تفنىٰ حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادًا، لا يتحركون ولا يحسُّون بألم.

وهذا قول أبي الهُذَيل العلَّاف إمام المعتزلة، طَرْدًا لامتناع حوادث لا نهاية لها. والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم.

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالىٰ، فإنه جعل لها أمَدًا تنتهي إليه ثم تفنىٰ ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: «وقد نُقِلَ هذا القول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد وغيرهم.

وقد روىٰ عَبْد بن حُمَيد -وهو من أجل علماء الحديث- في «تفسيره» المشهور عن الحسن قال: قال عمر: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[1]، لكان لهم علىٰ ذلك يوم يخرجون فيه».

ذكر ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣].

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لَمَا جزم به وقال: قال عمر بن الخطاب، ولو قُدِّرَ أنه لم يُحْفَظ

---

(١) هو مَثَلٌ يُضرب للمبالغة في الكَثْرة، وعالِج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بُحْتر من طيء. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٧٨).

عن عمر، فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون علىٰ من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أنَّ مَنْ قال هذا القول عن عمر، ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم، فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج، ولا قريبًا منه.

ولفظ «أهل النار» لا يختص بالموحِّدين، بل هو مختص بمن عداهم، كما قال ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون**»[1]، ولا يناقض هذا قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه، لكن إذا انقضىٰ أجلها وفنيت كما تفنىٰ الدنيا لم يبق نارًا ولم يبق فيها عذاب.

قال أرباب هذا القول: في «تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي»: عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨]. قال: «لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا»[2].

قالوا: وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصًّا بأهل القبلة، فإنه سبحانه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٨-١٢٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٣٤)، وسنده حسن.

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيه الكفار قطعًا، فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

فالاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشيطان النار. فَمِنْ ها هنا قال ابن عباس: «إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ الله في خلقه».

قالوا: وقول من قال إن «إلا» بمعنىٰ «سوىٰ»، أي: سوىٰ ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه = لا تخفىٰ منافرته للمستثنىٰ والمستثنىٰ منه، وإن الذي يفهمه المخاطب: مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها.

قالوا: وقول من قال: إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان؛ كزمان البرزخ والموقف، ومدَّة الدنيا أيضًا = لا يساعد عليه وجه الكلام، فإنَّه استثناء من جملة خبريَّة مضمونها: أنَّهم إذا دخلوا النَّارَ لبثوا فيها مدَّة دوام السماوات والأرضِ إلَّا ما شاء اللهُ، وليس المراد الاستثناء قبل الدخول، هذا ما لا يفهمه المخاطب.

قالوا: وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٣].

قالوا: والأبد: لا يُقدَّر بالأحقاب.

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية: «لَيأتينَّ علىٰ جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابًا»(١).

وعن أبي هريرة مثله، حكاه البغوي عنهما. ثم قال: «ومعناه عند أهل السنة إن

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٨)، وسنده ضعيف.

ثبت: أنه لا يبقىٰ فيها أحد من أهل الإيمان»[١].

قالوا: قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو، وقد سأل حربٌ إسحاق بن راهويه عن هذه الآية[٢]، فقال: سألت إسحاق، قلت: قول الله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] فقال: أتت هذه الآية علىٰ كل وعيد في القرآن.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: «ليأتين علىٰ جهنَّم يوم تصطفق فيه أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»[٣].

وقد حكىٰ ابن جرير هذا القول في «تفسيره»[٤] عن جماعة من السلف، فقال: وقال آخرون: عنىٰ بذلك أهل النار، وكل من دخلها.

عن جابر أو أبي سعيد، أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ قال: «هذه الآية تأتي علىٰ القرآن كله»، يقول: حيث كان في القرآن «خالدين فيها» تأتي عليه»، قال: «وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه جهنم، فإن شاء الله ﷻ تجاوز عن عذابه»[٥].

وعن ابن عباس: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ قال: «لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك. قال: استثنىٰ الله، قال: أمر النار أن تأكلهم».

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «مسائل حرب الكرماني» (ص: ٤٢٩).

(٣) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٠٣).

(٤) (١٢/ ١١٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٨).

وحكىٰ ابن جرير في ذلك قولًا آخر، فقال: «وقال آخرون: أخبرنا الله سبحانه بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنىٰ ثنياه بقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أنَّها في الزيادة علىٰ مقدار مدة السماوات والأرض، قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان.

قال ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ حتَّىٰ بلغ ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ فقال: أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار»[1].

قالوا: وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾ [النبأ:٢١-٢٨].

فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته، ولا يُقَدَّر الأبدي بمدة الأحقاب ولا غيرها، ولهذا قال عبد الله ابن عمرو: «ليأتين علىٰ جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»[2].

فصل

٢/ ٧٤٥

أدلة القائلين بدوام النار

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أنَّ هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه، وأن الاختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٨ - ١١٩)، وسنده صحيح.

(٢) تقدم قريبًا.

الطريق الثاني: أن القرآن دل علىٰ ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه وتعالىٰ أخبر: أنه عذاب مقيم، وأنه لا يُفَتَّر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذابًا، وأنهم خالدين فيها أبدًا، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة علىٰ الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سمِّ الخياط، وأنهم لا يقضىٰ عليهم فيموتوا، ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غرامًا، أي: مقيمًا لازمًا.

قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج مَنْ في قلبه مثقال ذرة مِنْ إيمانٍ دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلىٰ آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أنَّ الرسول وقَّفَنَا علىٰ ذلك وعَلِمْنَاهُ من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلىٰ نقلٍ معينٍ، كما عَلِمْنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان، بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أنَّ العقلَ يقضي بخلود الكفار في النَّارِ.

وهذا مبنيٌ علىٰ قاعدةٍ وهي: أنَّ المعاد وثواب النفوس المطيعة، وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو ممَّا يُعلم بالعقل، أو لا يُعْلَم إلَّا بالسمعِ؟

فيه طريقان لنظَّار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلىٰ أنَّ ذلك يُعلَم بالعقل مع السمع، كمَّا دلَّ عليه القرآن في غير موضع، كإنكارهِ سبحانه علىٰ من زعم أنَّه يُسَوِّي

بين الأبرار والفجار في المحيا والممات، وعلىٰ من زعم أنَّه خلق خلقه عبثًا، وأنَّهم إليه لا يُرجعون، وأنَّه يتركهم سُدىٰ، أي: لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأنَّ ذلك يقدحُ في حكمته وكماله، وأنَّه نِسْبةُ له إلىٰ ما لا يليقُ به، وربما قرَّروهُ بأنَّ النفوس البشرية باقيةٌ، واعتقاداتها وإراداتها صفة لازمةٌ لها لا تفارقها وإن ندمت عليها، لمَّا رأت العذاب، فلم تندم عليها لقبحها وكراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أوَّلًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

فهؤلاء قد ذاقوا العذابَ وباشروه، ولم يزل سببه ومُقْتَضِيْهِ من نفوسهم، بل خبثها وكفرها قائم بها، لم يفارقها بحيث لو رُدُّوا لعادوا كفارًا كما كانوا، وهذا يدلّ علىٰ أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل، كما جاء به السمع.

قال أصحاب الفناء: بالكلام علىٰ هذه الطرق: يَبِيْنُ الصوابُ في هذه المسألة.

فأما الطريق الأول: فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم، وإنما يظن الإجماعَ في هذه المسألة من لم يعرف النزاع - وقد عُرِفَ النزاعُ فيها قديمًا وحديثًا - بل لو كلف مُدَّعِي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلىٰ الواحد أنَّه قال: إن النار لا تفنىٰ أبدًا، لم يجد إلىٰ ذلك سبيلًا.

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فأوْجِدوا لنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكي عنهم هذا وهذا.

قالوا: والإجماع المُعْتَدُّ به نوعان متفق عليهما، ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة.

النوع الأول: يكون معلومًا من ضرورة الدين، كوجوب أركان الإسلام، وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث: أن يقول بعضهم القول، وينتشر في الأمة، ولا ينكره أحد.

فأين معكم واحد من هذه الأنواع؟! ولو أن قائلًا ادعىٰ الإجماع من هذا الطَّرَفِ واحتج بأن الصحابة صح عنهم ذلك ولم ينكر أحد منهم عليه = لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا: وأما الطريق الثاني: وهو دلالة القرآن علىٰ بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟! نعم، الذي دلّ عليه القرآن أن الكفار خالدين في النار أبدًا، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يُفَتَّر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام لازم لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر، وهو: أنَّه هل النار أبدية أو مما كُتِبَ عليها الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يُقْضَىٰ عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سمِّ الخياط = فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية، وبعض أهل البدع. وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها. فالفرق بين من يخرج من الحبس -وهو حبس علىٰ حاله- وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث: وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر

من النار دون أهل الشرك، فهي حق لا شك فيه، وهي إنما تدل علىٰ ما قلناه من خروج الموحِّدين منها، وهي دار عذاب لم تَفْنَ، ويبقىٰ المشركون فيها ما دامت باقية، والنصوص دلت علىٰ هذا وعلىٰ هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا علىٰ ذلك ضرورة، فلا ريب أنَّه من المعلوم من دينه بالضرورة، أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنىٰ كالجنة، فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟

قالوا: وأما الطريق الخامس: وهو أن في عقائد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا. فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهيمية والمعتزلة، وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين، وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به من الصحابة، وتفريقهم بين الجنة والنار، فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع، مع أنَّه لا يُعْرَف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين، فقولكم: إنه من أقوال أهل البدع كلامُ من لا خِبْرَة له بمقالات بني آدم، وآرائهم واختلافهم.

قالوا: والقول الذي يُعَدُّ من أقوال أهل البدع: ما خالف كتاب الله، أو سنة رسوله، أو إجماع الأمة، إما الصحابة أو من بعدهم، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، فلا يُعَدُّ من أقوال أهل البدع، وإن دانوا به واعتقدوه، فالحق يجب قبوله ممن قاله، والباطل يجب ردُّهُ علىٰ من قاله.

فالذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم، هو الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّف عنهم عذابها، ولا يُفَتَّر عنهم، وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن

النار لا تفنىٰ أبدًا؛ فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها، ولم تبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها.

قالوا: وأما الطريق السادس: وهو حكم العقل بتخليد أهل النار فيها، فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السمع، أو لا يُعْلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لِنظَّار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.

والصحيح أن العقل دلّ علىٰ المعاد والثواب والعقاب إجمالًا، وأما تفصيله فلا يُعْلَم إلا بالسمع، ودوام الثواب والعقاب مما لا يدلّ عليه العقل بمجرده، وإنما عُلِم بالسمع، وقد دلّ السمع دلالة قاطعة علىٰ دوام ثواب المطيعين، وأما عقاب العصاة فقد دلّ السمع أيضًا دلالة قاطعة علىٰ انقطاعه في حق الموحِّدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار، فهذا مُعْتَرَكُ النِّزَال، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب. وبالله التوفيق.

فصل

٢/ ٧٥٢

الفرق بين دوام الجنة ودوام النار

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعًا وعقلًا، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه، وأنه لا نفاد له ولا انقطاع، وأنه غير مجذوذ. وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها، وعدم خروجهم منها، وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأنها موصدة عليهم، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأن عذابها لازم لهم، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم، والفرق بين الخبرين ظاهر.

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالىٰ في ثلاث آيات عنها بما يدلّ علىٰ عدم أبديتها.

الأولى: قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٢٨].

الثانية: قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧].

الثالثة: قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣].

ولولا الأدلة القَطْعِية الدالة علىٰ أبدِيَّة الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناء في الموضعين واحدًا، كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين، فإنَّه قال في أهل النار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، فعلمنا أنَّه سبحانه وتعالىٰ يريد أن يفعل فعلًا لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبدًا. فالعذاب مؤقَّت مُعلَّق، والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنَّه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيرًا قط من المُعَذَّبين الذين يخرجهم الله من النار، وأما النار فلا يدخلها من لم يعمل سوءًا قط، ولا يعذب بها إلا من عصاه.

الوجه الرابع: أنَّه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقًا آخر يوم القيامة يسكنهم إياها، ولا يفعل ذلك بالنار.

والمقصود أنَّه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق. يوضِّحه:

الوجه الخامس: أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه،

ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنَّه قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع علىٰ العرش إنَّ رحمتي تغلب غضبي**»(١)، وإذا كان رضاه قد سبق غضبه، وهو يغلبه، كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه، وما هو من موجب غضبه = ممتنعًا. يوضحه:

الوجه السادس: وهو أنَّه سبحانه قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء**» وقال للنار: «**أنت عذابي أُعذِّبُ بك من أشاء**»(٢)، وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشئٌ عن غضبه، ورحمته ها هنا: هي الجنة، وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن، فها هُنا أربعة أمور: رحمة هي وصْفُهُ سبحانه، وثواب منفصل هو ناشئٌ عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه. فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب، فلأنْ يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولىٰ وأحرىٰ، فلا تقاوِم النارُ التي نشأت عن الغضب الجنةَ التي نشأت عن الرحمة. يوضحه:

الوجه السابع: أن النار خلقت تخويفًا للمؤمنين، وتطهيرًا للخطَّائين المجرمين، فهي طُهْرة من الخبث الَّذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإنْ تطهَّر ها هنا بالتوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة لم تحتج إلىٰ تطهير هناك، وقيل لها مع جملة الطَّيبين: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣]. وإنْ لم تتطهر في هذه الدَّار، ووافقت الدَّار الأخرىٰ بِدَرَنِهَا ونجاستها وخبثها أُدْخلت النَّار طُهْرة لها، ويكونُ مكثها في النَّار بحسب زوال ذلك الدَّرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهَّرت الطُّهر التام أُخرجت من النَّارِ، واللهُ سبحانه خلق

(١) أخرجه البخاري (٦٩٦٩)، ومسلم (٤٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

عباده حُنَفاء، وهي فطرة الله التي فطر النَّاسَ عليها، فلو خُلُّوا وفِطَرهم لما نشؤوا إلَّا علىٰ التوحيد، ولكن عَرَض لأكثر الفِطَر ما غيَّرها، ولهذا كان نصيب النَّارِ أكثر من نصيب الجنَّة، وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلَّا الله، فأرسل الله رسوله، وأنزل كتبه يُذكِّر عباده بفطرته التي فطرهم عليها، فعرف الموفَّقون الَّذين سبقت لهم من اللهِ الحسنىٰ صِحَّة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولىٰ، فتوافق عندهم شرع اللهِ ودينه الَّذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها، فمنعتهم الشريعة المنزلة، والفطرة المكمِّلة، أنْ تكتسب نفوسهم خُبثًا ونجاسة ودرنًا يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألمَّ بهم شيء من ذلك ومَسَّهم طائف من الشيطان غاروا عليه بالشِّرْعة والفطرة، فأزالوا موجبه وأثره، وكمل لهم الرب تعالىٰ ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون، تمحص عنهم تلك الآثار التي شَوَّشت الفطرة، فجاء مقتضىٰ الرحمة، فصادف مكانًا قابلًا مستعدًّا لها ليس فيه شيء يُدافعه، فقال: ها هنا أُمِرْت، وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧]، واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة، ونقلها مما خلقت عليه إلىٰ ضِدِّه، حتىٰ استحكم الفساد وتم التغيير، فاحتاجوا إلىٰ إزالة ذلك إلىٰ تغيير آخر، وتطهير ينقلهم إلىٰ الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلُوَّة والمخلوقة، وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار، فأتاح لهم آيات أُخر وأقضيةً وعقوباتٍ فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار، فإذا زال موجب العذاب وسببه؛ زال العذاب، وبقي مقتضىٰ الرحمة لا معارِضَ له.

فإن قيل: هذا حق، ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارِضًا: كمعاصي الموحِّدين، أمَّا إذا كان لازمًا: كالكفر والشرك، فإن أثره لا يزول كما لا

يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلىٰ هذا المعنىٰ بعينه في مواضع من كتابه.

منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] فهذا إخبارٌ بأنَّ نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلًا.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣] وهذا يدلك علىٰ أنَّه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة، ولو كان فيهم خير لما ضيَّع عليهم أثره.

ويدل علىٰ أنَّه لا خير فيهم هناك أيضًا قوله: «**أَخْرِجُوا من النَّار من كان في قلبه أدنىٰ مثقال ذرَّةٍ من خير**»(١)، ولو كان عند هؤلاء أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من خير لخرجوا بها مع الخارجين.

قيل: لعمر الله إنَّ هذا لمن أقوىٰ ما يتمسك به في المسألة، وإن الأمر لكما قلتم، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه، ولا ريب أنهم في الآخرة في عمىٰ وضلال كما كانوا في الدنيا، وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا، والعذاب مستمرٌّ عليهم دائم ما داموا كذلك، ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل، أم هو أمرٌ عارض طارئٌ علىٰ الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة، وليس بأيديكم ما يدلّ علىٰ استحالة زواله وأنَّه أمر ذاتي، وقد أخبر الله سبحانه أنَّه فطر عباده علىٰ الحنيفية، وأنَّ الشياطين اجتالتهم عنها، فلم يفطرهم سبحانه علىٰ الكفر والتكذيب كما فَطَر الحيوان البهيم علىٰ طبيعته، وإنما فطرهم علىٰ الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحق الذي قد فُطِروا عليه، وخلقوا عليه، قد أمكن زواله بالكفر

---

(١) البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

والشرك الباطل، فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولىٰ وأحرىٰ، لا ريب أنهم لو رُدُّوا علىٰ تلك الحال التي هم عليها لعادوا لِمَا نُهُوا عنه، ولكن مِنْ أين لكم أن تلك الحال لا تزول، ولا تتبدَّل بنشأةٍ أخرىٰ ينشئهم فيها تبارك وتعالىٰ إذا أخذت النَّار مأخذَهَا منهم، وحَصَلتِ الحكمة المطلوبة من عذابهم؟ فإنَّ العذاب لم يكن سُدًىٰ، وإنَّما كان لحكمةٍ مطلوبةٍ، فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمرٌ يُطْلَب، ولا غرضٌ يُقصَد، والله سبحانه ليس يَشْتفي بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه، وهو لا يُعذِّب عبده لهذا الغرض، وإنَّما يعذبه طهرةً له ورحمةً به، فعذابه مصلحةٌ له، وإنْ تألَّمَ به غاية الألمِ، كما أنَّ عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها.

وقد سمَّىٰ الله سبحانه الحدَّ عذابًا[1]، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داءٍ دواء يناسبه، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كيًّا بعد كيٍّ ليُخْرِج منه المادة الرديئة الطارئة علىٰ الطبيعة المستقيمة، وإن رأىٰ قطع العضو أصلح للعليل قَطَعَه، وأذاقه أشد الألم. فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طَرَتْ علىٰ الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ علىٰ الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تبارك وتعالىٰ، وقدره في الدنيا، وثوابه وعقابه في الآخرة = وَجَدَ ذلك في غاية التناسب والتوافق، وارتباط ذلك بعضه ببعض، فإن مصدر الجميع عن علمٍ تامٍّ، وحكمة بالغة، ورحمة سابغة، وهو سبحانه الملك الحق المبين، وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل.

---

(١) فقال: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٢].

الوجه الثامن: أن النعيم والثواب من مقتضىٰ رحمته ومغفرته وبره وكرمه، ولذلك يضيف ذلك إلىٰ نفسه، وأما العذاب والعقوبة، فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يُسمَّىٰ بالمُعاقِبُ والمعذِّب، بل يفرق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتىٰ في الآية الواحدة، كقوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧]، ومثلها في آخر الأنعام[1]، فما كان من مقتضىٰ أسمائه وصفاته، فإنَّه يدوم بدوامها، ولا سيما إذا كان محبوبًا له، وهو غاية مطلوبة في نفسها، وأما الشر الذي هو العذاب، فلا يدخل في أسمائه وصفاته، وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفني، بخلاف الخير، فإنَّه سبحانه دائم المعروف، لا ينقطع معروفه أبدًا، وهو قديم الإحسان أبديُّ الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسنًا علىٰ الدوام، وليس من موجب أسمائه وصفاته أنَّه لا يزال معاقبًا علىٰ الدوام، غضبان علىٰ الدوام، منتقمًا علىٰ الدوام.

فتأمل هذا الوجه تأمُّلَ فقيهٍ في باب أسماء الله وصفاته = يفتح لك بابًا من أبواب معرفته ومحبته.

الوجه التاسع: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل، فلا يفعل عبثًا ولا جورًا ولا باطلًا، بل هو المُنَزَّه عن ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص.

وإذا ثبت ذلك، فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتىٰ يزول ذلك الخبث، وتكمل الطهارة = فظاهر، وإن كان لحكمة؛ فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال

---

(١) (آية: ١٢٨).

العذاب، وليس في الحكمة دوام العذاب أَبَدَ الآباد بحيث يكون دائمًا بدوام الرب تبارك وتعالىٰ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم، فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك، وإن كانت المصلحة تعود إلىٰ أوليائه؛ فإن ذلك أكمل في نعيمهم، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب، وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفًا علىٰ بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السَّرْمَد.

الوجه العاشر: أنَّه سبحانه يخبر عن العذاب أنَّه عذاب يوم عقيم، وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنَّه نعيم يوم، ولا في موضع واحد.

وقد ثبت في «الصحيح» تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة[1]، والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، والله سبحانه جعل العذاب علىٰ ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب علىٰ ذلك. وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجلًا تنتهي إليه، فما انتقل منها إلىٰ تلك الدار مما ليس لله، فهو المعذب به.

وأما ما أُريد به وجه الله والدار الآخرة، فقد أُريد به ما لا يفنىٰ ولا يزول، فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يَزُلْ ما تعلَّق بها، بخلاف الغاية المُضْمَحِلَّة الفانية، فما أُريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أُريد به وجه الله يبقىٰ ببقاء المطلوب المراد، فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها، وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات، وانقلب عذابًا وآلامًا = لم يكن له متعلق يدوم بدوامه؛ بخلاف النعيم.

الوجه الحادي عشر: أنَّه ليس في حُكْمِ أحكم الحاكمين أن يخلق خلقًا يعذبهم أبد الآباد، عذابًا سرمدًا لا نهاية له، ولا انقطاع أبدًا، وقد دلت الأدلة السمعية

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والعقلية والفطرية علىٰ أنَّه سبحانه حكيم، وأنه أحكم الحاكمين، فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة.

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس، والحكمة المطلوبة من تعذيبها، فإنَّه سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أُخرىٰ غير تلك النشأة، ويرحمها في النشأة الثانية نوعًا آخر من الرحمة.

يوضحه:

الوجه الثاني عشر: وهو أنَّه قد ثبت أن الله سبحانه يُنْشِئ للجنة خلقًا آخر، يسكنهم إياها، ولم يعملوا خيرًا تكون الجنة جزاء لهم عليه، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه، وبلغت العقوبة مبلغها، فانكسرت تلك النفوس، وخضعت وذلت، واعترفت لربها وفاطرها بالحمد، وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه، ولو شاء أن يكون عذابها أشد من ذلك لَفَعَل، وشاء كتب العقوبة طلبًا لموافقة رضاه ومحبته، وعلمت أن العذاب أولىٰ بها، وأنه لا يليق بها سواه، ولا تصلح إلا له، فذابت منها تلك الخبائث كلها، وتلاشت وتبدلت بذلٍّ وانكسارٍ، وحَمْدٍ وثناء علىٰ الرب تبارك وتعالىٰ، ولم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك، إذ قد تبدل شرها بخيرها، وشركها بتوحيدها، وكبرها بخضوعها وذلها.

الوجه الثالث عشر: أنَّه سبحانه قد أوجب الخلود علىٰ معاصي من الكبائر، وقيده بالتأبيد، ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه.

فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

ومنها: قوله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجَّأ بها في نار جهنم**

خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا»(١) وهو حديث صحيح.

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: «**فيقول الله تبارك وتعالىٰ: بادرني عبدي بنفسه حَرَّمتُ عليه الجنة**»(٢).

وأبلغ من هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد، مع انقطاعه قطعًا بسبب من العبد، وهو التوحيد، فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه، بسبَبٍ ممن كتب علىٰ نفسه الرحمة، وغلبت رحمته غضبه، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته، كما في «صحيح البخاري»(٣) عنه ﷺ: «**خلق الله الرحمة يوم خلقها مئة رحمة**» وقال في آخره: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**».

الوجه الرابع عشر: أنَّه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحًا بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبدي لا ينقطع، لكان ذلك وعيدًا منه سبحانه، والله تعالىٰ لا يخلف وعده، وأما الوعيد: فمذهب أهل السنة كلهم: أن إخلافه عفو وكرم وتجاوز يُمْدَحُ الرب تبارك وتعالىٰ به، ويُثنىٰ عليه به، فإنَّه حق له إن شاء تركه، وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفي حقه، فكيف بأكرم الأكرمين؟.

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد: لا يخلف وعيده.

وقال الأصمعي: جاء عمرو بن عبيد إلىٰ أبي عمرو ابن العلاء فقال: يا أبا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٢)، ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٨)، ومسلم (١١٣) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) رقم (٦١٠٤).

عمرو، أيخلف الله ما وعد؟ قال: أفرأيت من أوعده الله علىٰ عمله عقابًا، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العُجْمَة أُتِيْتَ يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعدّ عارًا ولا خُلْفًا أنْ تَعِدَ شرًّا ثمَّ لا تفعله، ترىٰ ذلك كرمًا وفضلًا، وإنما الخُلْف أن تَعِدَ خيرًا ثمَّ لا تفعله، قال: فأوْجِدْني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلىٰ قول الأول:

ولا يرهبُ ابنُ العم ما عشتُ سطوتي ... ولا أختشىٰ من صولة[1] المتهدِّد
وإنِّي وإنْ أوعدته أو وعدته ... لمخلفُ إيعادي ومنجزُ مَوْعِدي[2]

ومما يدل علىٰ ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نُبِّئْتُ أنَّ رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأْمُولُ[3]

فإذا كان هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيدٍ مقرون باستثناء مُعَقَّب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] وهذا إخبار منه أنَّه يفعل ما يريد عقيب قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، فهو عائد إليه ولا بد.

فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة، ولعلَّك لا تظفر به في غير هذا الكتاب.

فإن قيل: إلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟

قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] وإلىٰ ها هنا

---

(١) البيتان لعامر بن الطُّفيل في «ديوانه» (ص: ٥٨).

(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٨٨)، وهي قصة صحيحة ثابتة.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ١٦٨ - ١٦٩) (٢٧٠٦).

انتهىٰ قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: «**ثمَّ يفعل الله بعد ذلك ما يشاء**».

بل وإلىٰ ها هنا انتهت أقدام الخلائق، وما ذكرنا في هذه المسألة، بل في الكتاب من صواب فمن الله سبحانه، وهو المَانُّ به، وما كان من خطأ فمِنِّي، ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده، والله أعلم.

الباب الثامن والستون ٢/ ٧٩٣

في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا إليها

في «الصحيحين»(١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلم آخر أهل النَّارِ خروجًا منها، وآخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة، رجلٌ يخرج من النَّار حَبْوًا، فيقول اللهُ له: اذهب فادخل الجنَّة، فيأتيها فيخيل إليه أنَّها ملأىٰ فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأىٰ، فيقول اللهُ له: اذهبْ فادخل الجنَّة، فإنَّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنَّ لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيتُ رسول اللهِ ﷺ ضحك حتَّىٰ بدت نواجذه، قال: فكان يقال: ذلك أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً**».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلمُ آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة، وآخر أهل النَّارِ خروجًا منها، رجلٌ يؤتىٰ به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا كِبَارَهَا، فتُعْرَض عليه صغار ذنوبه**

---

(١) البخاري (٦٢٠٢)، ومسلم (١٨٦).

(٢) رقم (١٩٠).

فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، فيقولُ: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أنْ تُعْرَض عليه، فيقال له: فإنَّ لكَ مكان كلِّ سيئةٍ حسنة، فيقول: ربِّ قد عملت أشياءَ لا أراها ها هنا، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتَّىٰ بدت نواجذه».

وفي «صحيح مسلم»[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنَّة رجلٌ فهو يمشي مرَّة، ويكبو مرَّة، وتسفعهُ النَّارُ مرَّة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الَّذي نجَّاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاهُ أحدًا من الأوَّلين والآخرين، فتُرفع له شجرة فيقول: أي ربِّ أَدْنِني من هذه الشجرة أستظلُّ بظِلِّها وأشرب من مائها، فيقول اللهُ تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم لَعلِّي إنْ أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا ربِّ، ويعاهده أنْ لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنَّه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثمَّ يُرفع له شجرة هي أحسن من الأولىٰ، فيقول: يا ربِّ أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلِّها، لا أسألك غيرها، فيقول: يابن آدم ألم تعاهدني أنْ لا تسألني غيرها؟ وربُّه يعذره؛ لأنَّه يرىٰ ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثمَّ ترفع له شجرة عند باب الجنَّة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنْ لا تسألني غيرها؟ قال: بلىٰ يا ربِّ، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره؛ لأنَّهُ يرىٰ ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناهُ منها سمع أصوات أهل الجنَّة فيقول: يا ربِّ أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك، أيرضيك أنْ أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا ربِّ أتستهزئ مِنِّي وأنت ربُّ العالمين؟» فضحك ابن

(١) رقم (١٨٧).

مسعود فقال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك ربِّ العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فيقول: لا أستهزئ بك ولكنِّي علىٰ ما أشاء قادر».

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «سأل موسىٰ ربه: من أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة؟ فقال: هو رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنَّة الجنَّة، فيقال له: أُدخل الجنَّة، فيقول: أي ربك كيف؟ وقد نزل النَّاس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا، فيقول رضيت ربِّ، فيقال له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيتُ رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيت ربِّ، قال: فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الَّذي أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم ترَ عينٌ، ولا تسمع أذنٌ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر، ومصداقه في كتاب اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]».

الباب التاسع والستون ٢/ ٧٩٩

وهو بابٌ جامع فيه فصول منثورة لم يُذْكر فيما تقدم من الأبواب

فصل ٢/ ٧٩٩

في لسان أهل الجنَّة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ علىٰ

(١) رقم (١٨٩).

طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، علىٰ حُسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة، وعلىٰ لسان محمد ﷺ جُرْدٌ مُردٌ مكحلون»[1].

٢/ ٨٠٠

فصل

في احتجاج الجنَّة والنَّارِ

في «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**احتجت النَّارُ والجنَّةُ فقالت هذه: يَدْخُلني الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال اللهُ عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذِّبُ بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشاء، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها**».

٢/ ٨٠١

فصل

في أنَّ الجنَّة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقًا دون النَّار

في «الصحيحين»[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**لا تَزَال جهنَّم يُلقىٰ فيها وتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حتَّىٰ يضع ربُّ العزَّةِ فيها قدمه فينزوي بعضها إلىٰ بعض، وتقول: قَطْ قَطْ بعزَّتك وكرمك، ولا يزال في الجنَّة فضلٌ حتَّىٰ ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم الجنَّةِ**».

(١) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٦٤).

(٢) البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٣) البخاري (٦٩٤٩)، ومسلم (٢٨٤٨).

فصل ٢/ ٨٠٢

في امتناع النوم على أهل الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**النومُ أخو الموتِ، وأهل الجنَّة لا ينامون**»(١).

فصل ٢/ ٨٠٢

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجةٍ إلى درجةٍ أعلى منها

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفعُ الدرجة للعبدِ الصالح في الجنَّة فيقول: يا ربِّ أنَّىٰ لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدِك لك**»(٢).

فصل ٢/ ٨٠٣

في إلحاق ذُرِّية المؤمن به في الدَّرجة وإنْ لم يعملوا عمله

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم (٣) بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (٤) وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «تاريخ أصبهان» (٣٥٣، ٤٧٧)، وضعفه أبو حاتم الرازي. انظر: «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٢١٩) (٢١٤٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وصحَّحه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٥٩).

(٣) قوله ﴿وَاتْبَعْنَاهُم ذُرِّياتِهِم﴾ قَرأها أبو عمرو بن العلاء، وقرأها الجمهور بالإفراد. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

(٤) هكذا قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وهي من القراءات العشر المتواترة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٠٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفعُ ذُرِّية المؤمن إليه في درجته، وإنْ كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بِهِمْ عينه، ثمَّ قرأ** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ **قال: ما نقصنا الآباءَ مِمَّا أَعطينا البنين**»[1].

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ علىٰ ثلاثة أقوالٍ.

واختلافهم مبنيٌّ علىٰ أنَّ قوله ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالٌ من الذرية التابعين، أو المؤمنين المتبوعين.

• **فقالت طائفة:** المعنىٰ والَّذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات.

وعلىٰ هذا، فيكون المعنىٰ: أنَّ الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التَّبَعِيَّة، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلىٰ درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النَّبي ﷺ معه في الدرجة تَبَعًا، وإن لم يبلغنَ تلك الدرجة بأعمالهن.

• **وقالت طائفة أخرىٰ:** الذرية ها هنا الصغار.

والمعنىٰ: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء -وإنْ كانوا صغارًا- في الإيمان وأحكامه، من الميراث والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك؛ إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ علىٰ هذا في موضع نصب علىٰ الحال من المَفْعُولَيْن، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

---

(١) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٦٢)، والصواب أنه موقوف.

قالوا: ويدل علىٰ صحة هذا القول: أنَّ البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنَّهم مستقِلُّون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية: البالغين؛ لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغين كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلىٰ يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

● **وقالت فرقة منهم الواحدي**(١): الوجْهُ أن تُحْمَلَ الذرية علىٰ الصغار والكبار؛ لأنَّ الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

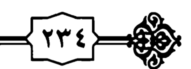
قالوا: والذرية تقع علىٰ الصغيرِ والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم.

قالوا: ويدلُّ علىٰ صِحَّة هذا القول أنَّ القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:٢١] فهذا في حقِّ البالغين الَّذين يصحُّ نِسْبَة الفعل إليهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ فهذا في حقِّ الصغار الَّذين أَتْبَعَهُمُ الله آباءهم في الإيمان حُكْمًا، فدلَّت القراءتان علىٰ النوعين.

قلتُ: واختصاص الذُّرية ها هنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصِّغار؛ فإنَّ أطفال كلِّ رجلٍ وذرِّيته معه في درجته، والله أعلم.

---

(١) في تفسيره «الوسيط» (٤/ ١٨٦).



٢/ ٨١٠

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «**احتجت الجنة والنار**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله جنة عدن خَلَقَ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾** [المؤمنون:١]»[(٢)].

٢/ ٨١١

فصل

في أن الجنة تزداد حُسْنًا على الدوام

عن كعب قال: «ما نظر الله إلىٰ الجنة إلا قال: طوبىٰ لأهلك، فتزداد ضِعْفًا حتىٰ يدخلها أهلها»[(٣)].

٢/ ٨١٢

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجَهن أكثر مما يطلبهنَّ أزواجُهنّ

قد تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «**لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا**»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٢٣٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٤) (١١٤٣٩)، وجود إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٧)، وسنده ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه (ص: ١٥٣).

وعن عكرمة، عن النَّبي ﷺ في قول الحوراء: «**اللهم أعِنْه علىٰ دينك، وأقْبِلْ بقلبه علىٰ طاعتك**»(١).

فصل ٢/ ٨١٣

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» متفق عليه(٢).

وفي «الصحيحين»(٣) أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلىٰ الجنة، وصار أهل النار إلىٰ النار أُتِيَ بالموت حتىٰ يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلىٰ فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلىٰ حزنهم**»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١١)، وهو مرسل ضعيف جدًّا.

(٢) البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٤) البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٨٥٠).

وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك = حقيقةٌ لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض النَّاس خطأً قبيحًا، وقال: الموت عَرَض، والعرض لا يتجسَّم فضْلًا عن أنْ يُذبح. وهذا لا يصحُّ فإنَّ الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صورًا مُعَاينة يُثَابُ بها ويعاقب، والله تعالىٰ ينشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأَعراض مادَّةً لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرَّب تعالىٰ، ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين، ولا شيئًا من المُحَال، ولا حاجة إلىٰ تكلف من قال: إنَّ الذبح لملك الموت. فهذا كله من الاستدراك الفاسد علىٰ الله ورسوله، والتأويل الباطل الَّذي لا يوجبه عقلٌ ولا نقل، وسببه قِلَّة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظنَّ هذا القائل أنَّ لفظ الحديث يدلُّ علىٰ أن نفْسَ العَرَض يُذبح.

وظنَّ غالطٌ آخر: أنَّ العَرَضَ يُعدم ويزول، ويصير مكانه جسمٌ يُذبح.

ولم يهتد الفريقان إلىٰ هذا القول الَّذي ذكرناهُ، وأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُنشئ من الأعراض أجسامًا يجعلها مادَّةً لها، كما في الصحيح عنه: «**تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنَّهما غمامتان**»(١) الحديث.

فهذه هي القراءة ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول: من أنتَ؟ فيقولُ: أنا عملك الصَّالح، وأنا عملك السيئ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٥٨-٥٩).

فصل ٢/ ٨١٩

في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة

روى مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«يأكل أهل الجنَّة فيها ويشربون، ولا يَمْتخِطُون ولا يتغوَّطُون، ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاءً ورشحًا كرشح المسك، يُلْهَمون التسبيح والحمد كما يلهمون النَّفَس»**.

وفي رواية **«التسبيح والتكبير كما تلهمون»**[(٢)] بالتاء المثناة من فوق، أي: تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، كما تلهمون أنتم النَّفَس.

فصل ٢/ ٨١٩

في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات:٥٠-٥١] الآيات، وقد تقدم الكلام عليها[(٣)].

وقال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٥-٢٧].

وعن أنسٍ يرفعه: **«إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: فيشتاق الإخوان بعضهم إلىٰ بعض، فيسير سرير هذا إلىٰ سرير هذا، وسرير هذا إلىٰ سرير هذا، حتىٰ يجتمعا**

---

(١) رقم (٢٨٣٥) - (١٨) - (١٩).

(٢) (٢٨٣٥) - (٢٠).

(٣) انظر: (ص: ١٦٣).

جميعًا فيتكئ هذا، ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متىٰ غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»[1].

وإذا تذاكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآن والسنة، وصِحَّة الأحاديث = أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذُّ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنَّة أعظم لذَّة، وهذه لذَّة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم. واللَّه المستعان.

الباب السبعون

٢/ ٨٢١

في ذكر المستحق لهذه البشرى دون غيره

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٦٤).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠-٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورىٰ:٢٢-٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣].

وقال في الجنَّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

وفي «المسند» وغيره أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«قد أُنْزلت عليَّ عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنَّة، ثمَّ قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتَّىٰ ختم العشر الآيات»**(١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٤)، والترمذي (٣١٧٣)، وضعفه أبو حاتم. انظر: «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٨١).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٠-١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦]

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وهذا في القرآن كثير، مداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة. فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون مَنْ عَداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون، ويرجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقة الرب سبحانه وتعالى في محابِّه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي: «**بضعٌ وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله ألا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»(١)، وبين هاتين الشعبتين سائر الشُّعب التي مرجعها إلىٰ تصديق الرسول في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه»(١).

وكأنَّه أخذ هذا من قول النَّبي ﷺ: «**اللَّهم لك الحمد كالذي نقول، وخيرًا مما نقول**»(٢).

٢/ ٨٤٣

فصل

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأناه به أوَّلا، وهو خاتمة دعوى أهل الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٩-١٠].

عن ابن جريج: أُخبِرْتُ أنَّ قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ قال: «إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيُسلِّم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا ربهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»(٣).

ومعنىٰ هذه الكلمة تنزيه الرب تعالىٰ وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به.

فأخبر تعالىٰ عن أوَّل دعواهم إذا استدعوا شيئًا: قالوا: سبحان الله، وعن آخر

(١) انظر: كتاب «الرسالة» له (ص: ١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٠)، وضعفه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٩).

دعواهم عندما يحصل لهم، وهو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومعنىٰ الآية أعمُّ من ذلك، والدعوىٰ: مثل الدعاء، والدعاءُ يرادُ به الثناء، ويراد به المسألة.

وفي الحديث: «أفضلُ الدُّعاء الحمدُ لله»[1].

فالدعاء ها هنا: دُعاءُ ثناءٍ يُلْهَمَه أهل الجنَّة، فأخبر سبحانه عن أوَّله وآخره، فأوَّله تسبيحٌ، وآخره حمدٌ يُلْهمونهما كما يُلْهَم النَّفَس.

وفي هذا إشارةٌ إلىٰ أنَّ التكاليف في الجنَّة تسقط عنهم، ولا تبقىٰ عبادتهم إلا هذه الدعوىٰ التي يُلْهَمُونها.

وفي لفظة «اللهم» إشارة إلىٰ صريح الدعاء، فإنَّها متضمنةٌ لمعنىٰ: «يا الله»، فهي متضمنة للسؤال والثناء، وهذا هو الذي فهمه من قال: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم. فذكروا بعض المعنىٰ ولم يَسْتَوْفُوه، مع أنَّهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنَّما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل يدلُّ علىٰ أنَّ أوَّل دعائهم التسبيح، وآخره الحمد.

وقد دلَّ الحديث الصحيح[2] علىٰ أنهم يلهمون ذلك كإلهام النَّفَسِ، فلا تختص الدعوىٰ المذكورة بوقتِ إرادة الشيء، وهذا كما أنه الأليق بمعنىٰ الآية، فهو الأليق بحالهم. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وصححه ابن حبان (٣/ ١٢٦) (٨٤٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٣٧).

فهرس الموضوعات



فهرس الفوائد

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
وقابل سبحانه بين الجوع والعُرْي، والظمأ والضحىٰ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعري والضحىٰ؛ فإنَّ الجوعَ ذُلُّ الباطن، والعُري ذلُّ الظَّاهرِ، والظمأُ حرُّ الباطنِ، والضحىٰ حرُّ الظاهرِ؛ فنفىٰ عن ساكنها ذلَّ الظاهر والباطن، وحرَّ الظاهر والباطن، وهذا شأن ساكن جنَّة الخلدِ.	٣٣	١/ ٥٨
فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنَّة، لكونها ثمانية، وأبواب النَّار سبعة فلم تدخل الواو. وهذا قولٌ ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية، وإنَّما هذا من استنباط بعض المتأخرين.	٤٧	١/ ١٠١
وقد جعل اللهُ سبحانه لكلِّ مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، كما قال ﷺ: «مفتاح الصلاةِ: الطُّهور»، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البِرِّ: الصدق، ومفتاح الجنَّة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية والمحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوىٰ، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا الله عباده إلىٰ التفكر فيه، ومفتاح الدخول علىٰ اللهِ: إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحُبِّ والبغض والفعل والتَّرك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن،	٥٦	١/ ١٣٨- ١٣٩

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
والتضرع بالأسحارِ، وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوىٰ، ومفتاح العِزِّ: طاعة اللهِ ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قِصَرُ الأملِ، ومفتاح كلِّ خيرٍ: الرغبة في اللهِ والدار الآخرة، ومفتاح كلِّ شرٍّ: حُب الدنيا، وطول الأمل.	٥٦	١/ ١٣٨- ١٣٩
وتأمَّل قوله: كيف أوقع التَّفْضيل أوَّلًا بدرجة، ثمَّ أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل: الأوَّل بين القاعد والمعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد.	٦٢	١/ ١٥٣
أفهمت الآية: خطر النفس الإنسانية وشرفها، وعظم مقدارها، فإنَّ السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلىٰ المشتري لها من هو، وانظر إلىٰ الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلىٰ من جرىٰ علىٰ يده عقد التبايع، فالسِّلعة: النفس، واللهُ سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنَّات النعيم، والسَّفِيْر في هذا العقد: خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه، وخيرهم من البشرِ وأكرمهم عليه.	٦٦	١/ ١٧١
الجنَّة إنما تُدْخَلُ برحمة الله، وليس عمل العبد مستقلًّا بدخولها وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله تعالىٰ دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨]، ونفىٰ رسول الله ﷺ دخلوها بالأعمال في قوله: «لنْ يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعملِهِ».	٦٨	١/ ١٧٦

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
الباء التي نَفَتِ الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العِوَضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السَّببية التي تقتضي سَبَبِيَّة ما دخلت عليه لغيره، وإنْ لم يكن مستقلًّا بحصوله، وقد جمع النَّبي ﷺ بين الأمرين في قوله: «سدِّدوا وقاربوا وابشروا، واعلموا أنَّ أحدًا منكم لن ينجوَ بعمله. قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا إلَّا أنْ يتغمدني الله برحمته». ومن عرف الله سبحانه، وشَهِدَ مَشْهد حقِّه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، والله سبحانه وتعالىٰ المستعان.	٦٨	١/ ١٧٧-١٧٨
وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالًا، وهو يُحب المُلِحِّين في الدعاء، وكلَّما ألحَّ العبد عليه في السؤال أحبَّهُ وأعطاهُ.	٧٠	١/ ١٨٢
ولها عِدَّةُ أسماءٍ باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذَّات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب تعالىٰ وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النَّار.	٧١	١/ ١٩١
والفردوس: اسم يُقال علىٰ جميع الجنة، ويقال علىٰ أفضلها وأعلاها، كأنَّه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات.	٧٤	١/ ٢٠١
لمَّا سَمَتْ هِمَّةُ الصِّدِّيق إلىٰ تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أنْ يُدْعَىٰ من تلك الأبواب كلِّها، فسأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من النَّاس، ليسعىٰ في العمل الَّذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشَّره بأنَّه من أهله، فكأنَّهُ قال: هل يكمل أحد هذه المراتب فيُدعىٰ يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فلِلَّهِ ما أعلىٰ هذه الهمَّة، وأكبر هذه النَّفس.	٧٩	١/ ٢٢٢

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
ها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، وهو أنَّه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلىٰ منزلة؛ وإن سَبَقَهُ غيره في الدخول.	٨٣	١/ ٢٤٠
غالب المفسرين يذكرون لازم المعنىٰ المقصود تارة، وفردًا من أفراده تارة، ومثالًا من أمثلته فيحكيها الجمَّاعون للغثِّ والسَّمين أقوالًا مختلفة، ولا اختلاف بينها.	١٠٩	١/ ٣٤٥
ولا أعلم ذكر الزرع في الجنَّة إلَّا في هذا الحديث.	١١٦	١/ ٣٧٣
فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفىٰ عن كلِّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أنْ يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلىٰ الحموضة، وأنْ يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذَّة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.	١١٧	١/ ٣٧٦
ونظيره قوله تعالىٰ في آخر السورة: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان:٢١]، فهذه زينة الظاهر، ثمَّ قال: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١]. فهذه زينة الباطن المُطَهِّر له من كلِّ أذىٰ ونقص. ونظيرهُ قوله تعالىٰ لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩]. فضَمِنَ لهُ أنْ لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذُلُّ الظاهر بالعُريِّ، وأنْ لا يناله حرّ الباطن بالظمأ، ولا حرُّ الظاهر بالضحىٰ. ونظيرُ هذا ما عدَّدهُ علىٰ عباده من نعمه أنَّه أنزل عليهم لباسًا يواري سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباسًا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم، وهو لباس التقوىٰ، وأخبر أنَّه خير اللباسين.	١٢١	١/ ٣٩٣-٣٩٤

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
فإن من الأسماء ما يكون اسمًا للحال والمحل مجتمعين ومنفردين: كالنهر، والكأس. فإن النهر اسم للماء ولمحله معًا، ولكل منهما علىٰ انفراده، وكذلك الكأس، والقرية. ولهذا يجيء لفظ القرية مرادًا به الساكن فقط، والمسكن فقط، والأمران معًا.	١٢٩	١/ ٤١٦
ولا يخفىٰ ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ها هنا، فإنَّه كان في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرش، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم اللهُ له بالشهادة، وآثر رضا اللهِ ورسوله، علىٰ رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الَّذي حكم به حُكم الله فوق سبع سماواته، ونعاهُ جبريل عليه السلام إلىٰ النَّبي ﷺ يوم موته، فحُقَّ له أنْ تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنَّة أحسن من حُلَل الملوك.	١٣٣	١/ ٤٣٦-٤٣٧
وهذه الخيام غير الغُرَفِ والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلىٰ شواطئ الأنهارِ.	١٣٨	١/ ٤٥٤
من استوفىٰ طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمَها هناك، كما نعىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ من أذْهَبَ طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة - ومن تبعهم - يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله: «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم، فقال: ما هذا؟ قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أوكلما اشتهىٰ أحدكم شيئًا اشتراه! أما سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠].	١٥٥	١/ ٥٢٤-٥٢٥

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها ها هنا حُرِمَها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذة من ترك شهوته لله أبدًا، والله أعلم.	١٥٥	١/ ٥٢٦
وكيفَ يُقدَّر قدْر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.	١٧٢	٢/ ٥٩٧
قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزمُ أنَّهُ لا يحتج مبطلٌ بآية أو حديثٍ صحيح علىٰ باطله؛ إلَّا وفي ذلك الدليلِ ما يدلُّ علىٰ نقض قوله.	١٨٠	٢/ ٦١٨
وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض عمَّاله: «أمَّا بعدُ: فإنِّي أوصيك بتقوىٰ اللهِ، ولزوم طاعته، والتمسك بأمرِهِ، والمعاهدة علىٰ ما حملك اللهُ من دينه، واسْتَحْفَظَك من كتابه، فإنَّ بتقوىٰ الله نجا أولياء اللهِ من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلىٰ خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، ومن كبت يوم القيامة». وقال الحسنُ: «لو علم العابدون في الدنيا أنَّهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا».	١٩٥	٢/ ٦٩٤-٦٩٥
فأفضل نعيم أهل الجنَّة رؤية وجهه تبارك وتعالىٰ، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنَّة، وأعلىٰ نعيمها وأفضله، الَّذي ما طابت لأهلها إلَّا به، والله المستعان.	٢٠١	٢/ ٧١٧

الفائدة	رقم الصفحة	الإحالة في الأصل
فإن قيل: إلىٰ أين انتهىٰ قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلىٰ قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].	٢٢٦	٢/ ٧٩١
وإذا تذاكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآن والسنة، وصِحَّة الأحاديث = أولىٰ وأحرىٰ، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذُّ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنَّة أعظم لذَّة، وهذه لذَّة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها علىٰ من عداهم. والله المستعان.	٢٣٨	٢/ ٨٢٠
وهذا في القرآن كثير، مداره علىٰ ثلاث قواعد: إيمان، وتقوىٰ، وعمل خالص لله علىٰ موافقة السنة. فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرىٰ دون مَنْ عَدَاهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلىٰ خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون، ويرجع إلىٰ خصلة واحدة، وهي موافقة الرب سبحانه وتعالىٰ في محابِّه، ولا طريق إلىٰ ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.	٢٤١	٢/ ٨٢٥

